
مفاتيح التواصل

الجزء الاول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مفاتيح التواصل

الجزء الاول

من محاضرات

سماحة حجة الإسلام والمسلمين

السيد عمّار الحكيم

المكتب الإسلامي
لرئاسة المجلس الأعلى الإسلامي العراقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ٦٩

العنكبوت: ٦٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

لم تشهد الساحة المعرفية في حقل العمل التنظيمي، دراسات وبحوثاً كما شهدتها في الحقول المعرفية الأخرى، بل كادت تكون نادرة وغير مألوفة، بالرغم مما تمتلكه من ثراء في النصوص والتجارب عبر تأريخنا الطويل. ولعل السبب في ذلك هو عدم دخول هذا الحقل من المعرفة في حيز الدراسات الأكاديمية، واقتصار البحث فيه على بعض أصحاب التجارب الحركية، لأسباب سياسية معروفة.

.وقد تضمن هذا الكراس شذرات من قراءات في الفكر الحركي الأصيل الذي تمثله مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو مجموعة من المحاضرات، والكلمات، التي ألقاها سماحة السيد عمار الحكيم في لقاء الثلاثاء الأسبوعي للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب عليه السلام، ولقاءات شوري مساعدي رئيس المجلس الأعلى الإسلامي العراقي، ولقاءات هيئة قيادة تجمع الأمل.

وقد وصلتنا أكثر هذه المحاضرات مدونة بشكل مختصر جداً، وقمنا بتقسيمها إلى أربعة أقسام، يحتوي كل قسم على اثني عشر نصاً مشروحاً.

تناول القسم الأول مجموعة من المفاهيم الحركية المستنبطة من الأحاديث الشريفة المروية عن رسول الله ﷺ، إلا حديثاً واحداً مروياً عن الإمام السجاد عليه السلام، شملت العناوين التالية: أهل الحق والكثرة العددية، خدمة الخلق والقرب من الله تعالى، حركة الإنسان ومخافة الله، العمل بين الإخلاص والرياء، الموقف الصحيح واحتمال الخطأ، علامات الأشقياء، مفازع الناس، الإحسان والحب، حقيقة الإيمان، تخشع النفاق، خصال الإيمان، مبدأ الكتمان.

وتناول القسم الثاني مجموعة من الدروس الحركية، احتوت على بيان أحاديث مروية بأجمعها عن أمير المؤمنين عليه السلام وشملت العناوين التالية: الكريم والمسؤولية، الجِدِّ والمثابرة، حدود المخالطة، اكتساب الاخوان، استيعاب الناس، استثمار الوقت، مرونة المؤمن، منهج التعامل مع الناس، الكتمان والبشاشة والاحتمال، مفاتيح التواصل، الإنسان بين التوفيق والاخلاص، خطورة التلون.

وتناول القسم الثالث مجموعة من التعليمات الحركية المستفادة من الحكم المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام، وشملت العناوين التالية: سمات الحازم، الهمة والحمية، التعامل بين المال والأخلاق، شرف الهمة، قبول النقد، الإخلاص، صيانة الأسرار، التركيز على العمل، اغتنام الفرص، المؤمن بين الصلابة والذل، تقارن العلم والعمل، استشارة الشبان والشيوخ.

وتناول القسم الرابع مجموعة إلى العاملين والمتصدين للعمل السياسي والتنظيمي، شملت العناوين التالية: العمل للخدمة لا للسلطة، التخطيط للوقت، سعة الصدر، الاحتراف في العمل، القدوة، التواصل ضمن منظومة العمل، الرقابة والمتابعة.

المكتب الإسلامي
لرئاسة المجلس الأعلى للإسلام في العراق

الفصل الأول

مفاهيم

رسالية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهل الحق والكثرة العددية^(١)

قال رسول الله ﷺ لرجل سأله عن جماعة أمته: (جماعة أمتي أهل الحق وإن قلوا)^(٢).

وهذه الرواية على قصرها تشير إلى مبدأ مهم يضعه رسول الله ﷺ، وهو أن المدار في معرفة جماعة الأمة هو اتباع الحق، وأنه لا علاقة للكثرة أو القلة في تشخيصها، وهو مبدأ إسلامي أصيل.

فالمهم أن يكون الإنسان مع الحق، وأن يكون على الحق، وأن يعتنق الحق، وأن يدافع عن الحق. والمهم هو حقانية المشروع، وحقانية الرؤية، وحقانية المنهج، وحقانية السلوك، وهذه هي البوصلة، وهذا هو الأساس، وهذا هو المعيار، وهذا هو الفيصل في تقييم ما إذا كنا ناجحين أم لا.

وأما العدد، والظهور، والبروز، وأن يكون الإنسان في مقدمة الركب أو في آخره، أو يكون في الواجهة أو في الخلف، فهذه كلها اعتبارات ثانوية، والأساس هو هل نحن مع الحق أو لا؟ وهذا ما نجده في المنهج الإسلامي الأصيل.

١. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب

ثبته.

٢. بحار الأنوار ٢: ٢٦٥، ح ٢١.

فحينما نزل الإمام الحسين عليه السلام الثعلبية وقت الظهيرة، وضع رأسه فرقد ثم استيقظ فقال: لقد رأيت هاتفاً يقول أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة. فقال له ابنه علي عليه السلام: يا أبه أولسنا على الحق؟ فقال: بلى والذي إليه مرجع العباد. فقال: يا أبه إذن لا نبالي بالموت»^(٣).

فليس الأساس هو هل نموت أو نحيا.. نصعد أو ننزل.. نأخذ الوهج أو نكون في الصفوف الخلفية، فهذه كلها اعتبارات تأتي وتذهب، فمن يأخذ الوهج اليوم، يمكن أن ينتقل إلى الصفوف الخلفية في يوم آخر، ومن هو في الصفوف الخلفية قد يأخذ الوهج ويتقدم في مرحلة لاحقة.

فالمهم هو أن نكون مع الحق، ويكون الحق معنا.. يقوينا ونقوى به.. نتقدم بالحق، ونتمسك بالحق. ولكن حبنا لا يكون أحياناً حباً للحق، بل هو حب لأنفسنا، وإلا فالناس متدينون، والحديث عن الدين يأتي بالوهج.. يأتي بالسلطة.. يأتي بمواقع أمامية.. يأتي بأصوات. وليست شطارة أن نتكلم بالدين في ظروف كهذه، ومن الممكن أننا لا نحب الدين بقدر كبير، بل نحب أنفسنا.

لقد جلس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خمسة وعشرين عاماً في بيته، وكان الناس والوهج مع غيره، ولكن بعد ذلك تاب الناس ورجعوا لعلي بن أبي طالب عليه السلام في بيعة لم يشهد لها التاريخ نظيراً، لا من قبلها، ولا من بعدها، وقد قال عليه السلام واصفاً ذلك اليوم: «فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفائي»^(٤)، أي أصبحت هناك حالة من الروع، وقد وطئ

٣. بحار الأنوار ٤٤ : ٣٦٧ .

٤. نهج البلاغة ١ : ٣٦ ، الخطبة الشقشقية .

الحسن والحسين عليهما السلام. كانت بيعة طوعية عفوية، وقد جاءت الناس بأعداد هائلة واحتشدت على باب علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان الحضور قوياً، تلاحظون أن من الناس من يحب أن يبرز، وتحركه مشاعر العقل الجمعي، فيجتمعون أحياناً مع هذا الذي يحبونه؛ مع أمير المؤمنين عليه السلام، فمسكوه من شدة الحب. وهناك أناس متحصنون، يقولون لا أحد غيرك يا علي، جربنا ورأينا.

خدمة الخلق والقرب من الله^(٥)

قال رسول الله ﷺ: (أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده، وأقومهم بحقه، الذين يحب إليهم المعروف وفعاله)^(٦).

هذه الرواية الشريفة عن الرسول الكريم ﷺ تشير إلى واحد من المبادئ الأساسية والمهمة التي تقرب الإنسان إلى الله تبارك وتعالى، وتجعله الأقرب والأحب إليه، وهو حينما يكون الإنسان أكثر نفعاً لعباد الله.

إن للعبادة الشخصية دوراً كبيراً في منهج الإسلام، كالصلاة والصيام، لكن رسول الله ﷺ هو من عرفنا أن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم انتقل إلى التركيز على البعد العملي فقال: «الدين المعاملة»^(٧)، هذا البعد العملي له نسبة كبيرة في مدى تجسيد الإنسان للقيم الإسلامية.

تضمنت الفقرة الأولى من الحديث الشريف: «أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده»، فلم يقل أكثرهم عبادة، أو أكثرهم صلاة، أو أكثرهم تلاوة للقرآن، وكلها أعمال محببة ومهمة، ولكن لا يكفي أن يكون الإنسان جالساً في مكان معزول عن الناس يتلو القرآن ويتعبد وهو منقطع عن الناس، فهذا لا يكفي في سمو الإنسان في مراتب الكمال وفي القرب الإلهي، وإنما الأمر المفيد هو كيف يتعاطى مع الناس.

٥ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب

ثلاثين بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٥ .

٦ . بحار الأنوار ٧٤ : ١٥٢ ، ح ١١ .

٧ . عجائب الآثار ٣ : ١،٣ .

ومعنى «أنفعهم لعباده» هو أن يخدم المجتمع الذي هو فيه، ويتواصل معه، ويقدم الرعاية للناس من خلال حل مشاكلهم والسعي في قضاء حوائجهم، وخدمة الوطن والمواطن، فهذا مدخل حقيقي ليكون الإنسان أحب الناس إلى الله سبحانه وتعالى.

والمراد من قوله ﷺ: «وأقومهم بحقه» هو أن يكون أول الناس في طاعة الله تبارك وتعالى وأداء حقوقه والحفاظ عليها وصيانتها، ومنها خدمة عباده.

إذن، مسؤولية الإنسان في عملية التكامل ليست مسؤولية شخصية فقط، ولا يكفي للإنسان في إيصال نفسه إلى مرتبة القرب الإلهي أن يصحح علاقته مع الله تبارك وتعالى، بل لا بد له من أن ينفع الآخرين ويتواصل معهم، ويخلق معهم بيئة تضامنية، ويوفر سبل التعاون معهم، وهذه مسألة مهمة جداً في فهمنا للإسلام وواجباتنا الإسلامية، ولذلك نرى البعض ممن يدعون التدين يركزون على البعد الشخصي فقط، ويأبى التواصل مع الناس بذريعة أن كل شيء فيه شبهات وفيه مشاكل، ويفضل الاجتناب والابتعاد حتى لو كان في ذلك رضا الله سبحانه والقرب منه، مع أن أعلى مراتب القرب الإلهي لا تتحقق إلا من خلال خدمة عباده والتواصل معهم وتسهيل أمورهم والحفاظ على حقوقهم.

ومعنى قوله ﷺ: «الذين يحب إليهم المعروف وفعاله»: أن الله جل جلاله هو الذي يحب لهذه الفئة من المؤمنين فعل الخيرات إلى الناس، فهناك شخص متكاسل ولا يتفاعل، ولكن من باب المسؤولية وإسقاط الواجب يقوم بعمل ما، وهناك أشخاص قد وفقهم الله سبحانه وتعالى لخدمة

الناس، وراحتهم في متابعة شؤون الناس، فإن أهل الخير يستأنسون بفعل الخير ولا يشعرون بالتعب عندما يسعون بحوائج الناس، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من هذا الصنف، خصوصاً نحن المتصددين. المهم أن نعرف ما هو دورنا، نحن المدعين للتصدي والخدمة، نحن القيادات الميدانية في مشروع رسالي اسمه تيار شهيد المحراب شهداء، الذي شعاره خدمة الوطن والمواطن. وما هو مقدار ما يمكن أن نساعد عليه؟ وما هو مقدار ما نستشعر من مسؤولية تجاه المجتمع؟، فهذه قضية أساسية وبنوية في اتجاهات عملنا، وفي تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى عنا.

حركة الإنسان ومخافة الله^(٨)

قال رسول الله ﷺ: (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء)^(٩).

تشير هذه الرواية الشريفة عن الرسول الكريم ﷺ إلى واحدة من القواعد المهمة في حركة الإنسان وشعوره بالقوة والعزة والمنعة والثقة، أو شعوره بالهزيمة والانكسار. فحينما يخاف الإنسان من الله سبحانه وتعالى، وحينما يجعل مخافة الله هي الأساس في دوافعه ومنطلقاته ونواياه، وفي سلوكه ومواقفه وأقواله وأفعاله، سيرى الله سبحانه وتعالى حاضراً معه. ويكون ميزانه في أعماله هو مخافة الله سبحانه، فيأتي من الأعمال ما يرضى الله تبارك وتعالى عنها ويقبل بها، ويترك ما لا يرضى الله تعالى عنها ولا يقبل بها؛ لأن في رضا الله تعالى العز والكرامة والرفعة والالتزام بالضوابط التي تجعل الإنسان دائماً مع الحق، فالشيء الذي فيه مخافة الله سبحانه ليس فيه شطط، ولا انحراف، ولا ابتعاد عن جادة الصواب، وحينئذ لا يخاف الإنسان من شيء، لأن حجته بالغة، والله تعالى هو الحجة البالغة، فإن من يسير في طريق الله ويجعل رضوان الله هو الأساس تكون الحجة معه دائماً، ويكون الموقف الصائب والصحيح إلى جانبه دائماً، وسيشعر بالقوة لأن القوي معه. كما أن مخافة الله سبحانه تجعل جميع القوى ما سوى الله سبحانه وتعالى تتصاغر أمام

٨ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب

الإنسان. فتضمن من ناحية سلامة المصير وصحة المسار لمن يسير في طريق الله تعالى ولمن يخشاه سبحانه، ومن ناحية أخرى تمنحه الشعور بالقوة والعزة والانتماء إلى الله سبحانه وتعالى، فتجعله قوياً جداً لا يخاف من شيء. وحينما تكون مخافة الله تعالى هي المعيار الأساس في حركة الإنسان، يصبح مصدر قلق وخوف لجميع من لا ينسجم ويتواءم مع المسار الإلهي لأهل الحق.

وأما الآخر الذي نسي الله سبحانه فما يفعل؟ إنه يُطمع ويغري الآخرين أو يخوفهم، فالطغاة والظالمون ومن يريد أن يشق طريقه بعيداً عن السياقات الصحيحة، يتشبثون دائماً بالإغراء والأهواء من خلال الوعد أو الوعيد، ومن خلال تغيير الناس وتطبيعهم بأمر أو إخافتهم من أمور معينة. والذي يخاف الله سبحانه وتعالى ويشعر بالقوة والعزة لانتمائه لله عز وجل لا يُطمع ولا يخوّف، فلا يؤثر فيه التطميع، ولا يؤثر فيه التخويف، وحينئذ لا يمكن أن يغير مواقفه الترغيب والترهيب، فبماذا يطمع ومما يخاف وقد جعل الله تعالى نصب عينيه.

وكل إنسان أعلم بنفسه ومواقفه وسلوكه وتاريخه ونظافته في مساراته، لا يخشى من شيء، إن عرض على محكمة عادلة فإن الحق معه، وإن كانت ظالمة فالنتيجة أن ينكل به على يد الظلمة، وهذا هو نوع من أنواع اللطف الإلهي، فقد كان بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يقولون لظالمهم في أثناء حزن رؤوسهم: الحمد لله الذي زادنا فيكم بصيرة وعرفنا حقيقتكم. فالإنسان عندما يعرف الحق، ويطمئن إلى أنه منحاز إلى الحق، وعندما يرى خصومه على باطل، تسري فيه حالة من الاستقرار والطمأنينة. وهذه هي إحدى الحسنيين التي يجري الحديث عنها في ثقافة الإنسان المؤمن، ينتصر في المعركة أو يقتل فيها شهيداً في سبيل الله، فكلاهما

حسنى وانتصار، ولا توجد كلمة خسارة في قاموسه. ومثل هذا الإنسان الذي يقطف ثماره في أسوأ خياراته، وهي طموح له، وهي نصر ومكسب، فماذا سيُفعل له لكي يخوِّف؟ هل يخوِّف بأن يقال له سنقتلك؟ سيقول: القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة. فهي التي يبحث عنها، وهي مكسب إلهي كبير بالنسبة إليه، فكيف يمكن أن يهدد بما هو مطمح ومغتم له. لذلك فإن مخافة الله سبحانه هي الأساس والركن الأوثق الذي يحدد اتجاه البوصلة، ويجعل للإنسان حصانة ومناعة، ويشعر الإنسان بالقوة والرفعة، فلا يؤثر فيه شيء، ولا تزعزعه الرياح والعواصف، ولا تقلل من همته النتائج.

فعلى الإنسان أن يراقب عمله كيف صار، وأما النتيجة فهي من عمل الله تبارك وتعالى، فهو أرف بعباده وبلاده، وسواء أثرت هذه النصيحة أو لم تؤثر، فهي لا تقلل من عزيمتي شيئاً. والقرآن الكريم يحدثنا عن أبي الأنبياء نوح عليه وعلى نبينا وآله السلام - ويبدو أن مدة نبوته كانت أطول من مدة جميع الأنبياء، فقد لبث في قومه ألفاً إلا خمسين عاماً، كما أخبرنا القرآن بذلك - أنه قال: (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا)^(١٠)، وهذه شهادة ينقلها لنا القرآن، ونوح ﷺ نبي معصوم، فكم هذه القضية معقدة وصعبة! لقد كانت دعوته لقومه ليلاً ونهاراً بشهادة القرآن، فلم تكن دعوته موسمية وفصلية، ولم يتأخر أسبوعاً عنها، بل استمر ليلاً ونهاراً تسعمائة وخمسين سنة، فلم يزدحم دعاؤه إلا فراراً، وكلما بالغ في دعوته، ابتعدت عنه الناس أكثر. ومع كل ذلك، لم يشعر بالملل، ولم يوهن عزيمته مضي القرون تلو القرون، ولم يفل من إرادته عدم استجابتهم لمنطق الحق، بل لم يكن لهم من رد سوى الاستهزاء

والضحك، وبالرغم من اعادة الكرّة عليهم المرة بعد المرة لعلهم يهتدون، ومع ذلك كانوا يفرون منه فيلحق بهم ويركض وراءهم وهو يصرخ بهم: أيها الناس أخاف عليكم نزول العذاب الإلهي فتهلكون جميعاً، حتى بلغ السيل الزبي، ونزل عذاب الله سبحانه وأغرقهم بطوفان لم يكن له من نظير، ولم ينجُ منه إلا تلك القلة القليلة المخلصة التي اصطفت مع نوح عليه السلام. فأَيُّ صبر كان يتمتع به هذا الرجل العظيم في تلك الصحراء القاحلة؟، عندما كانت الناس تبحث عن قطرة ماء خشية أن تموت من العطش كان عليه السلام يمسك فأساً ويقطع الأشجار، وكان الناس يسألونه وهم في دهشة: ماذا تصنع بهذه الأخشاب؟ فيقول أريد أن أصنع سفينة لأن الطوفان أت ليغرقكم. ويتعجبون من جوابه، فأَيُّ طوفان يتحدث عنه وهم في صحراء قاحلة؟! ويمرون به وهو يصنع السفينة، فيسخرّون منه ويضحكون: وماذا عسى أن تجدي هذه السفينة في طوفان عارم؟! فيقول: إن الله أمرني بذلك. وكانوا يسألونه مستهزئين: متى يأتي الطوفان؟ فيجيبهم: في الموسم القادم. ويمضي الموسم ولم يأت ذلك الطوفان الموعود. ويزداد استهزاؤهم ويعيدون عليه السؤال كرة أخرى عن الموعد الجديد لحلّول الطوفان، فيقول لهم إن الله تعالى أخبره بأنه سيأتي في الموسم القادم، وتمضي السنون ويتأخر الموعد عشر مرات - كما تقول الرواية^(١) - ولا شيء غير سفينة جاثية على رمال قاحلة، وقهقهات السخرية تملأ فضاء الصحراء، ورجل عجوز يحيط به بعض من آمن به ومجموعة من الحيوانات التي جمعوها ليحملوها معهم في السفينة حين يأتي الطوفان المرتقب كما أمرهم الله بذلك.

فتخيلوا، أيّ موقف محرج لنبي يخبر عن الله في وعد خطير بحلول كارثة لا تبقى ولا تذر، ثم لا يتحقق ذلك الوعد؟! ولو كان الوعد خاصاً

١١. انظر: بحار الأنوار ١١: ٣٣٩، ح ٧٦.

بشخص أو شخصين لهان الأمر، ولكنه أمر يتعلق بالناس جميعاً. ولو كان الوعد مجرد كلمة أطلقها مرة أو مرتين أمام عدد محدود من الناس لسهل الخطب، ولكنه وعد قطعي كان يردده ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، وسنة بعد أخرى، وأمام جميع الناس. لقد كان نوح عليه السلام على يقين من أمره، ولم يتزعزع يقينه لحظة في وقوع الطوفان. ولم يكن ما يحذر منه مجرد كلمات، بل كان إصراره على هذا الأمر مقروناً بالعمل، فقد كان يجهد في بناء سفينة ضخمة تكفيه وعائلته وأصحابه والحيوانات التي جمعها من شتى الأصناف؛ من كل زوجين اثنين.

لقد كان شهيد المحراب عليه السلام متأثراً كثيراً بشخصية نوح عليه وعلى نبينا وآله السلام، وعندما كان يتكلم أحياناً عن أحوال نوح عليه السلام كان يبكي، لأنه كان يمثل هذه المحنة، فقد كان مضغوطاً عليه ويعرف ما المحنة، لقد مر بسنين عجاف، وكانت عنده ثقة بالله سبحانه وتعالى، وأنجز كتاباً أسماه (القصص القرآني)، وقد تعب في تأليفه كثيراً، وهو استعراض للسنن الإلهية في القرآن الكريم، وكان في تلك المرحلة التي كتب فيها هذا الكتاب، يركز جداً على هذه السنن.

لقد جئتكم بمثال نبي الله نوح عليه السلام، ومثال شهيد المحراب عليه السلام، وهو حالة حية عشناها وعاصرناها وعاشناها، ونحن اليوم ننتمي لهذا العنوان، لتتعلم كيف يمكن لنا أن نحول مخافة الله والمبدئية في حركته وسلوكه ومساره إلى مصدر قوة حقيقية، فلا نخشى أحداً إلا الله، وكيف يخشاننا الجميع من غير أن تكون هناك أدوات ضغط على الآخر، وهذا أخطر، وهي تصبح مخيفة جداً لأعداء الله، بينما نحن في ذروة وقمة القوة، لأننا لا نخشى أحداً إلا الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون من هؤلاء، ونراجع أنفسنا وندقق في

دوافعنا وخياراتنا ونياتنا ومساراتنا؛ لماذا نتكلم هكذا ولماذا نتصرف هكذا؟ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ﴾ ﴿١٢﴾. ارجع لنفسك فإنك لا تخطئ في تقدير نيتك أبداً؛ إن كنت مخلصاً أم لا. وعلينا جميعاً أن نكون بيننا وبين الله تعالى مخلصين في أعمالنا لله، ونعلم لماذا نتكلم بهذا الكلام، ولماذا نتصرف بالطريقة التي نتصرف بها، وما دوافعنا؟. ولذلك على كل واحد منا أن يراجع نفسه ويتيقن أن جميع أقواله وأفعاله خالصة لله تعالى، ثم تبقى مشكلة كبيرة وهي كيف نحافظ على استمرار هذه النية إلى نهاية أعمارنا، فقد ينبثق العمل بنية صالحة، ولكن هل يستمر العمل أيضاً بهذه النية؟ فإن راجعنا أنفسنا وعلمنا أن نياتنا لم تكن في أساسها لله سبحانه، وإنما كانت لشيء آخر، فعلياً أن نرجع ونصحح النية، والتصحيح أمر ممكن في أي مرحلة، وفي أي مقطع زمني كان.

العمل بين الإخلاص والرياء (١٣)

قال الإمام السجاد عليه السلام: (لا تعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا تدعه حياءً) ^(١٤). تشير هذه الرواية الشريفة المروية عن الإمام السجاد عليه السلام إلى واحد من الأصول المهمة والمفاتيح الرئيسية في التصدي للعمل الاجتماعي لفعل الخير، ألا وهو التوازن الدقيق بين أن يكون العمل خالصاً لله سبحانه وتعالى من ناحية، ومن ناحية أخرى ألاّ يمتنع عن فعل الخير بذريعة أن دافع هذا العمل هو من أجل الآخرين، أو أنه يحظى برعاية الآخرين، أو أن هناك شكاً وتردداً في مدى إخلاص النية في هذا العمل، فالإنسان الذي يتحرك ويقوم بأعمال صالحة قد يحصل في قلبه تردد وشك في خلوص نيته، لاسيما من هو متصد ويصبح له جاه ومكانة في قلوب الناس، أو في الأقل من المحيطين به ومن يتواصل معهم ويرتبط بهم، فهنا تدخل امور على الخط بالتدرج، كأن يرى نفسه ملزماً بفعل الخير ولكن ليس بنية خالصة لله تعالى، وإنما لتوقع المحيطين به ذلك، أو يفعل ذلك لجلب انتباه الآخرين، أو ليتنافس مع أخ له أو زميل في مساحة التصدي، فهو في الحقيقة يحقق ذاته وينتصر لنفسه ويتصارع على وجاهة أو موقع أو فرصة لأخ أو أخت متصدية في مساحة العمل، فالعنوان العام لفعل الخير، أو الانتصار للمشروع، أو أن يقدم شيئاً للناس، أو ينتصر للمذهب، أو ينتصر للدين، أو ينتصر للوطن، ولكن الدوافع الحقيقية هي أن ينتصر لنفسه ويعمل لتغليب إرادته على إرادة الآخرين .

١٣ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب

تفتيش .

١٤ . الكافي ٢ : ٢٣١ ، ح ٣ .

إن الكثير من المسائل التي تحدث في مجتمعاتنا، حتى الصداقات والمشاريع الخيرية ومسائل من هذا النوع، تخضع أحياناً لعنصر التنافس، فالظاهر مجلس حسيني أو فعل خير أو زيارة مؤمن أو أي فعل من الأفعال، ولكن الواقع هو تنافس أو بحث عن شهرة. وتداخل هذه القضايا بشكل كبير جداً حتى يصعب أحياناً تفكيكها وفرزها، ولكن نرجع ونقول إن الإنسان هو الأقدر على تشخيص نيته.

وعلى ضوء هذه الخلفية يقول الإمام السجاد عليه السلام: «لا تعمل شيئاً من الخير رياء» لئلا تكون الدوافع دوافع غير إلهية؛ فلا تفعل شيئاً لكي يرى الناس فعلك أو لكي تحصل على مكانة عند الناس. ولكن لا يكن القلق من أن يكون العمل رياءً أو ليس لله مانعاً لك من أدائه، أو مانعاً لك من فعل الخير، فتترك الزيارة مثلاً لأن عندك شكاً وخوفاً من ألا تكون خالصة لوجه الله، أو تترك إعطاء الفقير صدقة لأن صديقك كان يمشي معك وتحذر أن يشوب نيتك الرياء، وهكذا يتحول الاحتياط فجأة إلى سبب يمنع الإنسان من فعل الخير والإقدام على العمل الصالح. والصحيح أن الاحتياط في مثل هذه الأمور هو في ترك الاحتياط. وهذا هو التوازن الدقيق بين الإقدام على العمل والمراجعة والتدقيق والتأكد، والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى من أن تكون نية العمل لغير الله، فلا تقل إن نيتي ليست لله وعندني دوافع أخرى، وتترك العمل، بل أصلح النية ولا تترك العمل، وانظر كيف يخلق هذا معادلة جديدة في سلوك الإنسان وحركته اليومية، هل تترك العمل لأن النية غير خالصة لله تعالى، أو تستمر وتغير وتعديل النية التي هي فعل اختياري، فما كان لغير الله فاجتهد في أن يتحول ليكون عملاً إلهياً ويكون لله.

وإذا استطعنا أن نوجد هذا التوازن الدقيق، فإن فعل الإنسان سيتحول إلى فعل رسالي، وفعل إلهي، وحينئذ يمكن أن تكون جميع الأعمال عملاً إلهياً، وعملاً قريباً يستحق عليه الثواب، حتى أكل الطعام والنوم والراحة والاسترخاء والنزهة التي يذهب فيها الإنسان مع رفيق ليقتضي ساعات ويخفف عن نفسه. وحينئذ يمكن أن يكون الهدف هو التقرب إلى الله سبحانه وتعالى في كل عمل يأتي به الإنسان. فالإنسان يحتاج إلى الطعام حتى يتقوى على طاعة الله تعالى، ويحتاج إلى النوم حتى يستعد لطاعة الله تعالى، ويحتاج إلى أن ينفس عن نفسه حتى يقوى على طاعة الله تعالى وفعل الخير والعمل بواجباته. وحينئذ تصبح هذه الأعمال مقدمة للواجب، ومقدمة الواجب واجبة، أو مقدمة للمستحب، ومقدمة المستحب مستحبة، كما قرر ذلك في علم أصول الفقه. وبما أن جميع هذه الأمور يقوم بها الإنسان حتى يكون في وضع يمكنه من فعل الخير والإقدام على العمل الصالح، فسيصبح كل عمله إلهياً.

فيا من تضعف أمام الأفعال وتبتعد عن نية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، لا تترك العمل بذريعة أن النية غير خالصة، بل ركز على نيتك واصلحها حتى تكون نية صالحة. وهذا هو التوازن الدقيق بين أن نفعل ونقدم ونتعامل مع الحياة وندفع أكثر في فعل الخير وفي التصدي، وبين ترك العمل خوفاً من عدم وجود نية القربة.

ولكن من ناحية أخرى، يجب أن يكون هذا العمل خالصاً لله سبحانه، وليس لاعتبارات أخرى، وبالتدرج نستطيع أن نشذب ونقلم هذه التداخلات الأخرى والعناصر الجانبية الأخرى التي قد تدفع بالإنسان إلى أن تكون نيته باتجاه آخر غير النية الصالحة والعمل الصالح. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للحفاظ على هذا التوازن الدقيق، وأن

نقدم المزيد، وأن يكون ذلك لله سبحانه وتعالى، وأن يجعلنا أقرب إلى الإخلاص، وأقرب إلى التوكل على الله تعالى، وأقرب إلى الاستعانة بالله سبحانه وتعالى موجد هذه السمات في وجودنا، وهذا ما سيفتح أمامنا أبواباً واسعة، ويفتح أمامنا التوفيق الإلهي، وهذا هو ما نحتاج إليه، وهو أن يكون عملنا عملاً إلهياً بدوافع إلهية لخدمة الناس، ولغايات شريفة ونبيلة، وهذا هو الأساس. وقد مرّ رسول الله ﷺ وهو سيد الأنبياء والمرسلين وأعظم الخلائق على الإطلاق في مسيرته الرسالية بانتصارات واخفاقات .

فالحياة الدنيا هي دار البلاء والابتلاء والتمحيص والغربة، يجب أن يخوضها الإنسان الشخص، والإنسان المشروع، والإنسان الرسالية، وهي كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (١٥). فهذا رسول الله ﷺ نراه مرة في بدر ونراه مرة أخرى في أحد، ولكن شتان ما بين بدر وأحد في ظرفهما وخلفياتهما، ونشاهد رسول الله ﷺ والذين معه من المسلمين في تجربة جديدة في حنين، كما وصفها الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَكَيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (١٦)، فحالة الإدبار، وحالة النكوص والتراجع، قد مرت بالمسلمين ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم، ولكن الأمة الإسلامية ما كان يمكن أن تصقل وتعد هذا الإعداد الكبير لولا هذه المخاضات العسيرة. ولذلك فنحن لسنا استثناء، ولسنا

١٥. البقرة: ٢١٤ .

١٦. التوبة: ٢٥ .

أفضل، وما نحن إلا قطرة في ذلك المحيط والبحر الكبير المتلاطم
لوجود رسول الله ﷺ.

لقد عاش شهيد المحراب قتيبة وعزيز العراق ظروف الانتصار
والوهج الكبير، وعاشوا ظروف الانتكاسات والتلكؤ في المشاريع،
وعلى كل حال فنحن لسنا استثناء، والحمد لله رب العالمين.

الموقف الصحيح واحتمال الخطأ^(١٧)

قال رسول الله ﷺ: (غريبتان: كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها، وكلمة سيئة من حكيم فارفضوها)^(١٨).

تشير هذه الرواية الشريفة عن رسول الله ﷺ إلى مفاهيم في الأصول المهمة في التعامل مع الآخرين، وفي دروس الحياة، وطبيعة العلاقات مع الآخرين، وتمتد إلى الإنسان نفسه، مهما كان هذا الإنسان، فرداً أو ممثلاً في جماعة، فهو يتسم بالحكمة والموضوعية باستحضار المصالح بالدقة، ولكن قد يزل ويخطئ، وقد تصدر منه بعض المواقف وبعض الأفعال مما لا يليق به. ويجب علينا أن ندرس هذه الحالة، لأننا نرى في واقعنا اليوم انتشاراً لها؛ فلان قال هذا، وفلان صنع هذا، وتستغل للتذكير المستمر بهذا الأمر لتشويه السمعة وإضعاف الآخر، في حين يجب على الإنسان أن يغفر لمن قلت زلته ومن اعتاد الناس أن يسمعوا منه كلاماً طيباً ويروا منه مواقف صحيحة، ولكنها رسالة لمن يعتقد بأن على المفكر أن يتأمل ويدقق، ولكن مهما كانت هذه الدقة فإن احتمال الزلل يكون وارداً في غير المعصوم إلا ما رحم ربي.

وهذا هو الدرس، إذ مهما تألق الإنسان الفرد أو الإنسان الجماعة، فإنه يجب أن يبقى دائماً يحسب لنفسه حساباً في احتمال الوقوع في الخطأ، لئلا يقع في أوهام العصمة وأوهام التمسك بعدم الوقوع في الخطأ. وفي هذا بعد أخلاقي للإنسان نفسه؛ إذ كلما تألق الإنسان وتميز وبذل جهوداً

١٧ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب تتمة

١٨ . بحار الأنوار ٢ : ٤٢ ، ح ٧ .

أكبر وشكل لجاناً تخصصية ودرس الظروف بنحو أدق، يجب عليه دائماً أن يستحضر احتمال الوقوع في الخطأ.

انظروا إلى هذه الثقافة في حوزاتنا العلمية، فمراجعتنا العظام الذين بلغوا مراتب عالية في الفقه وفي المعرفة، الذين يجب تقليد الأعلام منهم، عندما يطرح رسالة عملية يدون فيها ما توصل إليه في استنباطاته للأحكام الشرعية، لكي يعمل بها مقلدوه، ويكتب في الصفحة الأولى من الرسالة العملية: هذه الرسالة الشريفة مبرئة للذمة إن شاء الله تعالى. أي أن المكلف الذي يعمل على ضوء ما ورد فيها من الأحكام الشرعية يكون بريء الذمة أمام الله عز وجل. وهذه العبارة التي نجدتها في أول الرسالة العملية هي لمن يرى نفسه أعلم الفقهاء، ولمن يدقق ويتأمل حتى يصل إلى الحقيقة، ولكن لا يزعم أن فتاويه هذه مطابقة للواقع وهي عين الأحكام الواقعية التي أنزلها الله تبارك وتعالى، بل هي تمثل ما وصل إليه من الأحكام الشرعية بعد بذل الجهد والسعة، إذ أن بعضها أحكام ظاهرية ووظائف شرعية للمكلف بينها الفقيه في حالة غياب الأحكام الواقعية. وهذا منطبق الإسلام، فمهما بلغ الإنسان في مراتبه الكمال وفي قدراته العلمية والفكرية وفي تجاربه العملية يبقى دائماً يحتمل الخطأ في استنتاجاته ومواقفه، ليبقى الحراك وتبقى الفرصة لإعادة النظر وتجديد الخطأ.

وعلى ضوء ما تقدم نستخلص ما يلي:

أولاً: لا نقبل بالعصمة لغير المعصوم مهما كان، ولا نقبل بمقولة: لا تتكلم ولا تناقش ولا تراجع، كائناً من كان صاحب الكلام؛ لأن كلام غير المعصوم قابل للنقاش ويجوز فيه الخطأ.

ثانياً: إذا صدر الخطأ ممن يقل منه الخطأ لا نشير إليه ولا نلوح به.

ثالثاً: مهما كان الإنسان وضيعاً ولكن يجب أن أبقى معه جسراً للتواصل، ولذا ينبغي ألاّ ندقق في أقواله وأفعاله؛ لأنه سفيه قد يجري الله سبحانه وتعالى على لسانه كلمة حق وحكمة، وقد يجد توفيقاً في موقف مسدد وصحيح، وعلينا أخذ الموقف الصحيح من أي كان حتى لو كان سفيهاً؛ لأن صفات الشخص لا تمتد إلى الفكرة الصحيحة، وربما كان موقف السفيه هو الموقف الصحيح، فإن الحسن عقليّ والقبح عقليّ، ولهذا فإن الشيء الحسن يبقى حسناً حتى لو صدر من شخص سيئ.

وكم تحمل هذه الرؤية من أبعاد، فإن الإنسان يحتاج دائماً في تعامله مع الآخرين إلى القاعدة الذهبية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١٩)، وقد جسدتها المقولة المعروفة: «انظر إلى ما قيل، ولا تنظر إلى من قال». خذ الكلمة وانظر هل هي كلمة حق وحكمة أو لا؟ وإن كانت صادرة من أحكم الحكماء، لأن حكمة الرجل لا تمتد إلى كلماته إذا لم تتسم بهذه الحقائق. وهكذا إذا صدرت حكمة من سفيه فخذها ولا تتركها .

وهذا الأصل يجعل الإنسان مهما ارتفع لا يشعر بالغرور، ولا يشعر بالترجسية، ولا يتكبر على الآخرين؛ لأنه يعلم أنه مهما عظم، يمكن أن تصدر منه هفوة مادام غير معصوم، ومن ناحية أخرى تجعل الإنسان لا يستخف بالآخرين مهما كانوا في ظروف سيئة في سلوكهم وفي أقوالهم .

وهذه الحكمة عندما تأتي على لسان سفيه ففيها إشارة أيضاً إلى ربوبية الرب سبحانه وتعالى الذي بيده الأمور ويقدر كل شيء تقديراً دقيقاً بنحو لا تدركه عقول الحكماء في أحيان كثيرة. فقد تجري الحكمة على

لسان هذا السفية، ويكون له موقف مسدد لإنسان في لحظة حرجة تغير توازنات، وتغير مسارات .

وكم من إنسان كان ذا مواقف جيدة ولكن ساءت عاقبته وكان مصيره أسود، كالشمر بن ذي الجوشن الذي كان عالماً عابداً من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقاتل معه في صفين، وكان تأريخه ناصعاً وأبيض، ولكنه كبا في اللحظة الحرجة كبوة لا تغتفر، وانتهت خاتمته بسوء حتى أصبح ملعناً للتأريخ .

وكم من إنسان كان ذا مواقف سيئة ولكن حسنت عاقبته، كالحرب بن يزيد الرياحي الذي كان تأريخه مليئاً بالانتصار للظالم، وتربى في أكناف الظالمين، وتربى في مدرسة بني أمية، وتسلىق وصعد في سلسلة المراتب الوظيفية إلى أن أصبح جنرالاً وتسلم قيادة طلائع جيش الكوفة في معركته مع الإمام الحسين عليه السلام، ولكن في اللحظة الأخيرة شملته الرحمة الإلهية فكان الحر كما ولدته أمه حراً، وانقلب مصيره وكانت عاقبته شهيداً مع الإمام الحسين عليه السلام .

فيا من له تأريخ وضاء منير ومليء بالحسنات والمواقف المشرفة، نسأل الله أن يجعلنا ممن يعتمد هذا المنهج في أفعاله وأقواله وسلوكه وتقييمه للآخرين وتقييمه لجماعته. والحمد لله رب العالمين.

علامات الأشقياء (٢٠)

قال رسول الله ﷺ: (أربع من علامات الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا، والاصرار على الذنب)^(٢١).

ذكر رسول الله ﷺ أربع صفات وسمات للأشقياء، نستجير بالله ونعوذ به من أن نكون من الأشقياء، وهي كالتالي:

الأولى: جمود العين، وهو كناية عن عدم البكاء في المواقف العاطفية التي تستدر الدموع. فالبعض لا يستطيع أن يبكي، لأن قلبه ليس فيه رقة، وعندما تذكر عنده المصائب لا يتفاعل ولا يتعاطف معها، وتكون دمعه عسوية. وهو مؤثر غير صحي، إذ المؤمن إنسان قلبه نير بذكر الله سبحانه وتعالى وخاشع، وهذا الخشوع يملئ عليه انكساراً في القلب ورقة تكون معها دمعه حاضرة في العين. ولذلك من لا يمتلك هذه الصفة يجب أن يراجع نفسه وينظر ما الأسباب التي تجعل العين جامدة، وتجعل القلب قاسياً. فهناك من يشاهد مظلوماً أو يشاهد تقريراً في التلفزيون يتحدث عن ظلامة لأناس لا يعرفهم فيندفع بالبكاء، وعلى عكس ذلك هناك شخص لا يكثر من أكبر المصائب التي يراها، ولا يعنيه إلا أمر نفسه. وشتان بين هذا وذاك.

الثانية: قسوة القلب، وهي تنشأ من الغفلة عن ذكر الله تبارك وتعالى، كما أشارت إليه الآية المباركة: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢٢)، وتنشأ

٢٠ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ملتقى الثلاثاء مع القيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب بتاريخ ٢٠١٣/١/٩
٢١ . الكافي ٢: ٢٩، ح ٦.
٢٢ . الزمر: ٢٢.

القسوة أيضاً من طول الأمل، كما ورد ذلك عنهم عليهم السلام، أنه في ما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام: "يا موسى لا تُطل في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد" (٢٣).

الثالثة: شدة الحرص في طلب الدنيا، فحينما يكون الإنسان حريصاً على الدنيا وله طموحات مادية كبيرة، يكون كل همه كيف يحقق هذه الطموحات، ولا يعرف أنه ليس له قدر أكثر مما يكون، وأنه مهما يبذل من جهد، ومهما يصرف من وقت، ومهما يرتكب من مخالفات، ومهما يوظف من مكائد، فإن هذا شيء مقدر له، ولن يتمكن من الحصول على أكثر من هذا، فهو يتحرك من فراغ، ويزيد الأزمات على نفسه بشدة حرصه. وشدة الحرص لا تقابلها حالة الكسل والخمول، بل يقابلها تحمل المسؤولية، والاهتمام بالأسباب الطبيعية ضمن سياقاتها ومساراتها، والقبول بالقدر الإلهي، سواء كانت هذه الأسباب منتجة أو قليلة الانتاج أو عديمة الانتاج، ويشعر أنه قام بدوره في حالة ما، ويرضى بما قدر الله سبحانه وتعالى له.

الرابعة: الإصرار على الذنب، وهو تكرار الذنب، وعدم الندم على ارتكابه، وعقد العزم على الإتيان به متى سنحت له الفرصة بذلك. وليس المقصود ما قد يصدر عن الإنسان من ذنب في لحظة ضعف؛ لأنه خال من الإصرار على تكراره. والذنوب الصغيرة بتكرارها تتحول إلى ذنوب كبيرة أيضاً؛ لأن الإصرار على الصغائر يعد من الكبائر.

إن هذا الإصرار يمثل حالة عناد وتمرد، وحالة مواجهة لله سبحانه وتعالى وتقديراته، وهذه قضية يجب أن يبتعد عنها الإنسان؛ لأنها توجب الشقاء. نسأل الله تبارك وتعالى أن يبعدنا عن الشقاء، وأن يجعلنا من الأنقياء،

وأن يجعل قلوبنا نيرة، وأن يجعل وجودنا وتوجهنا نحوه سبحانه وتعالى، ولا سيما أمثالنا من المتصددين للعمل الاجتماعي والسياسي والمهني، فإن هموم الحياة وحالة التدافع مع الآخرين في خضم هذا المعترك الذي نعيشه تجعل الحفاظ على حالة النقاء والطهارة والرقّة وسلامة النفس والتوجه نحو الله أمراً صعباً. فمرة يكون الإنسان إماماً لصلاة الجماعة في مسجد يلتقي فيه مع المؤمنين ويتواصل مع شريحة معينة، أو مؤلفاً جالساً في بيته يؤلف الكتب ويعيش مع الكتاب في عالمه الخاص، يكون أسهل عليه أن يوفر لنفسه هذه الحالة. ولكن الإنسان المتصدي في صلب المجتمع ويعيش المعاناة ويشاهد مكائد الآخرين وهم يتدافعون معه ويجب أن يتدافع معهم ليثبت وجوده، كيف يمكن أن يعيش حالة الرقّة وحالة التقوى وحالة الورع؟! وهذه مسائل معقدة جداً، نسأل الله أن يعيننا عليها.

ولقد كان شهيد المحراب رضي الله عنه من هذا النوع، فهو في صلب الهموم والانشغال والانغماس في العمل، وكان دؤوباً في عمله، ولكن مع ذلك كانت هذه الرقّة موجودة لديه، فكانت دمعه قريبة من عينه، وسرعان ما يتأثر ويتفاعل وتظهر عليه هذه الرقّة، فكان يبكي في الصلاة، ويبكي في التعقيبات، ويبكي في الدعاء حينما يتفاعل معه، ويبكي حينما يتلو القرآن. وكان يحافظ على هذه الحالة من التفاعل بالرغم من جميع المشاكل والتحديات السياسية والاجتماعية.

وهذه تعطي للإنسان ثقة وقوة وتحقق لديه نوعاً من التوازن في شخصيته، ويجب أن نكون حريصين في الحفاظ على هذه الحالة مهما انشغلنا في الشؤون الدنيوية.

مفازع الناس (٢٤)

قال رسول الله ﷺ: (إن لله عبداً يفرع إليهم الناس في حوائجهم، أولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة، أولئك هم الآمنون من عقاب الله يوم القيامة)^(٢٥).

تشير هذه الرواية المباركة إلى مجموعة من الحقائق يجب أن ينتبه لها العاملون في الحقل الاجتماعي، فهي تتحدث عن وجود مجموعة من الناس في المجتمع هم عباد لله عز وجل، وهؤلاء العباد يفرع إليهم الناس في حوائجهم، وهؤلاء العباد هم الآمنون يوم القيامة.

يشهد رسول الله ﷺ لهذا الصنف من الناس بأنهم عباد لله عز وجل، أي يشهد لهم بالعبودية لله، ومقام العبودية لا يصل إليه الإنسان إلا بعد أن يتمحض في العبودية لله عز وجل، وتكون عبادته خالصة لوجهه الكريم، لا يشوبها أي لون من ألوان الرياء والشرك الخفي. وهو مقام لا يصل إليه إلا الأوحدي من المخلصين الذين لم تخدعهم الدنيا وزخرفها ولا الشيطان ومكائده.

وتضمنت الفقرة الثانية من الرواية وصفاً آخر لهذه المجموعة وهي أنهم مفزع الناس في قضاء حوائجهم، فيلجؤون إليهم عند اشتداد الأزمات وتعسر الحاجات، ولم تصفهم الرواية بأنهم عباد يخدمون الناس، بل

٢٤ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة من تيار شهيد المحراب تتمة.

٢٥ . بحار الأنوار ٧٤: ١٥٧، ح ١٣٤.

يفزع الناس إليهم، وفرق كبير بين التعبيرين. فهناك شخص يخدم الناس، وهو الذي يبادر ويذهب لتفقد أحوالهم وقضاء حوائجهم، وهناك شخص يلجأ الناس إليه لقضاء حوائجهم، فهم لا ينتظرون حتى يأتي إليهم من يتفقد أحوالهم ويطلع على حاجاتهم، بل يبادرون إليه عند تعرضهم للأزمات والشدائد. والفرق بينهما أن من يخدم الناس ليس بالضرورة هو من يلجؤون إليه عند تعسر حاجاتهم، فالأول هو من يختار الناس الذين يتعامل معهم، والثاني هم من يختارونه ليتعاملوا معه.

كما أن التعبير بـ“يفزع الناس إليهم” تعبير يوحي بأن هذه المجموعة من الناس معروفة لديهم، وهي كهف لهم، ويتوقعون قضاء حوائجهم على أيديهم. كما أن هذا التعبير يستبطن وجود اضطرابات ومشاكل وقضايا لا يترجى حلها عند عموم الناس أو حتى عند أولئك الصنف المهتم بشؤون الناس وحل مشاكلهم. وترى الناس يقولون إن هذه قضايا ليس لها إلا فلان. وهذا الشخص الفلاني ليس بالضرورة أن يكون وزيراً أو مديراً، بل هو إنسان لديه همة عالية وإصرار وقدرة أو وجهة عند الله عز وجل. وهذا التعبير يمكن أن يكون له دخل في القضايا الحساسة والخطيرة، التي يمر بها الناس عند تعرضهم للأزمات العاتية فيهرولون فزعين إلى ملجأ حصين وركن ركين يأوون إليه. وحينما يكون الإنسان في مستوى أن عموم المؤمنين وعموم الناس يفزعون إليه في الشدائد ويدقون بابه ويرون فيه الطريق لحل مشاكلهم وقضاء حوائجهم بصدقته وبحرصه واهتمامه، فهو بلا شك يكون ذا منزلة ومقام رفيع عند الله تبارك وتعالى.

وفي الفقرة الأخيرة من الرواية لم يقل رسول الله ﷺ أولئك من الآمنين، بل قال ”هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة“، انظروا هذا التعبير الذي يحتاج

إلى أن تستنفر جميع أساليب ووسائل وقواعد اللغة العربية لكي تحيط بأبعاده، إنه تعبير يكرس الاختصاص والأهمية، لعنصر الأمان الذي يتناغم مع تعبير الفزع. فالناس يفرعون إلى هؤلاء في الدنيا فيقضون لهم حوائجهم، فيثيبهم الله تبارك وتعالى بأعلى درجات الأمان في يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر.

وأما بالنسبة إلى قضاء حوائج الناس فهناك الكثير من الآيات والروايات في هذا المجال. ولكن نود أن نشير هنا إلى أهمية قضاء حوائج الناس في ميزان أعمال الإنسان في يوم القيامة. يعتقد البعض بأن أقرب الطرق إلى الله تبارك وتعالى هي العبادة الشخصية في حين أن قضاء حوائج الناس يمكن أن تعوض آلاف الركعات من الصلوات المندوبة والمستحبة كما ورد في الروايات. فنظام الأولويات في الرؤية الإسلامية ومسار التكامل في الشخصية الإنسانية من وجهة نظر القرآن الكريم ومن وجهة نظر الإسلام، يضع موازين ومعايير تختلف تماماً عن المعايير التي نضعها نحن لأنفسنا أو نشاهدها، فقد يكون هناك شيء لا نراه مهماً، ولكن هو في الواقع له دور كبير في التكامل.

وهناك قصة معروفة عن عالين كبيرين تعاهدا على أن يأتي المتوفى أولاً منهما إلى صاحبه في عالم الرؤيا ويخبره عما رأى في عالم البرزخ. فتوفي أحدهما والتزم بعهده وجاء إلى صاحبه في عالم الرؤيا وحدثه عما جرى له في ذلك العالم، وقال له: إنني كنت واثقاً من النجاة، لما أملكه من أعمال كثيرة جمعتها خلال سبعين عاماً من العبادة والتهجد والدعاء والعلم والمؤلفات والعطاءات، ولكن عندما وقفت بين يدي منكر ونكير للحساب تبخرت أعمالي ولم أجد عملاً مقبولاً مسجلاً عندهم مهما ذكرت لهم من صالح أعمالي، وكانوا يردونها عليّ ويقولون إن نيتك فيها لم تكن خالصة لله تبارك وتعالى، حتى يئست من النجاة، ولكن الملائكة قالت لي إنه يوجد لديك عمل

واحد مقبول لم تذكره، وهو أنك قد اشترت مرة (كيلو) من التفاح وبينما أنت في الطريق شاهدت يتيمًا يبكي ومسحت على رأسه وأخرجت تفاحة وأعطيته إياها فأدخلت السرور على قلبه، ولم يحظ هذا العمل بأهمية في نظرك لتصاب بالعجب فيه فيحبط فيه ثوابك ونسيته، ولم يكن أمراً مهماً في نظرك حتى تتكلم به للآخرين فتضيعه بالرياء، وبسبب هذا العمل كتب الله تعالى لي الجنة، ولم تنفعني مؤلفاتي ولا عبادتي ولا محاضراتي ولا دروسي ولا أعمالِي سوى هذه التفاحة .

ونستفيد من هذه القصة، أن أشياءً نجدها صغيرة، قد تكون مهمة جداً عند الله تعالى. وقد نرى أشياءً مهمة جداً وهي لا تعادل عند الله جناح بعوضة. فمعايير الصلاح والكمال في المنظومة الإسلامية والرؤية الإسلامية قد تكون مختلفة شيئاً ما، عما نعتقد به وتسألنا عليه. وهذا لا يعني التقليل من قيمة العبادات الشخصية من الدعاء والصلاة والتضرع إلى الله والعلم وأمثالها، فجميع هذه المسائل مهمة وأساسية ولها مكانتها الكبيرة، ولكن الأعمال ذات البعد الاجتماعي، كخدمة الناس والوقوف مع مظلوم لرفع مظلوميته وأمثال ذلك لها تأثير كبير جداً في موازين الله سبحانه وتعالى، كما قال جل من قائل: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٢٦).

ومن معطيات تعبير ”اولئك هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة“ هو أن هذه المجموعة تكون آمنة بمجرد أنها نوت أن تتحرك وتساعد في حل مشاكل الناس، فالإنجاز بيد الله تبارك وتعالى، وهو الذي يجعل البركة ليس في الحل فقط، بل في حياتها وعائلتها وذريتها وصحتها ورزقها، فإن لجميع هذه الأشياء آثاراً وضعية تترتب على هذه الروحية في الخدمة والانطلاق في حل مشاكل الناس.

الإحسان والحب (٢٧)

قال رسول الله ﷺ: (إن الله جبل قلوب عباده على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها)^(٢٨).

تشير هذه الرواية الشريفة عن رسول الله ﷺ إلى حالة إنسانية مهمة، وهي أن قلب الإنسان ومشاعره في طبيعتها تنفتح على من يحسن إليها وعلى من يتعامل معها بالمعروف، وتنقبض وتنكمش عن من يسيء إليها؛ لذلك فمسألة العلاقة الاجتماعية والتواصل مع الناس وكيفية التعامل مع الآخرين، وما الانطباع الذي نتركه في أي علاقة مع شخص يشاهدنا، مسألة تحظى بأهمية بالغة.

عندما يلتقي شخص بنا أو يتصل بنا، ما الانطباع الذي يتكون لديه عنا؟ وليس الكلام هنا عن مبدئية الشخص أو عن نيّاته، فهو صاحب مبدأ صحيح ونيات طيبة، ولكن ربما كنا حين اللقاء منزعجين، أو مشدودين، أو كان بالنّا مشغولاً في قضية أخرى، فلم نوله الاهتمام المطلوب، فينبغي الاعتذار إليه، وإلا تركت انطباعاً سيئاً قد يؤدي به إلى اتخاذ موقف.

ونحن على أرض الواقع نرى أن هناك بعض الناس نرتاح لهم، وآخرين لا نرتاح لهم، وهناك شخص ننفتح عليه، وآخر ننكمش منه. وربما لا نعرف الأسباب الكامنة وراء هذا الحب والبغض. وهذا الانفتاح أو

٢٧. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب تتسطح

٢٨. بحار الأنوار ٧٤: ١٥٧، ح ١٣٧.

الانكماش هو وليد الانطباع، ولكن ما سبب هذا الانطباع؟، ربما ننسى ما حدث بيننا وبينه ويبقى في بالنا فقط أن هذا الشخص لا نرتاح له، وأن لدينا موقفاً مسبقاً منه، وقد يكون السبب هو أن تعامله معنا في لحظة ما لم يكن تعاملًا طيباً، فترك انطباعاً سيئاً، وهذا الانطباع يبقى ونغفل عن مناشئته وننسى أحياناً. فلذلك كلما كان أساس التعامل والعلاقة مع الآخرين فيه محبة وشفقة وابتسامة وكلمات رقيقة ومشاعر طيبة، فإن الانطباع عن اللقاء معنا والتواصل معنا سيكون انطباعاً جيداً.

وهذا هو المنهج الذي يصححه ويؤكدُه رسول الله ﷺ، إضافة إلى النية الصالحة والدوافع النبيلة والمنظومة الأخلاقية والقيمية العامة. إن السلوك الصحيح والتعامل الصحيح، قضية أساسية ومطلوبة في التعامل مع الآخرين، فمظهر أو شكل العلاقة هو الذي يكشف عن المضمون، وهو الذي يصحح المضمون.

فحينما يظهر الإنسان أحياناً شيئاً معيناً ويركز عليه فإنه ينعكس عليه، كما لو ظهر بمظهر حسن والتزم بهندام جيد، فهو يساعد على تصحيح الخلل.

وكما لو تقيّد في العبادات في قضايا دقيقة جداً، فكان يفحص هل أن القبلة تسعون درجة أو خمس وتسعون درجة؟. وربما يعترض البعض على هذه الدقة ويقول هذا وسواس، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَسَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٢٩). وهذا كلام غير صحيح، فإن الإنسان إذا ابتعد خمس درجات عن القبلة، وهو يعلم أنها ليست مع القبلة، ثم صلى خلاف القبلة بخمس درجات فهذه صلاة باطلة.

وهكذا مسألة النجاسة في الثوب الذي يصلي فيه الإنسان إذا زادت عن مقدار معين، وهو مقدار قليل جداً، فإن صلاته باطلة. فهناك فرق بين حالة العلم بنجاسة الثوب عند الصلاة وبين العلم بها بعد الانتهاء من الصلاة، فيحكم الشارع بصحتها في الثانية دون الأولى. وربما يتساءل البعض عن تأثير هذه النجاسة القليلة في الثوب في النيات والارتباط بالله تعالى، فنقول إن الظاهر معبر عن الباطن ومصحح له أحياناً، والباطن يجب أن يكشف عن نفسه بسلوك الإنسان ومظهره .

ويأتي نفس الكلام في قضية العلاقة أيضاً، فرمما كان هناك إنسان رؤوف جداً ولكن وجهه عبوس، فتتجنب الناس الحديث معه، ولكنه إنسان لطيف في واقعه، وهذا الواقع الذي يخالف الظاهر لا يكتشفه إلا الراسخون في العلم، ولا يستطيع أن يكون عنصراً مؤثراً وفاعلاً في حياة الإنسان وفي تعاملاته مع الآخرين، ، لذلك يجب أن تبرز حالة الدين في سلوك الإنسان .

يقول الله تبارك وتعالى عن هذه المسألة: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَلْبُ لَا نَفَعُوكُمْ مِنْ حَوْلِكُمْ﴾^(٣٠)، أي يارسول الله أنت نبي وأفضل وأشرف الناس، إذا لم تلاحظ هذه القضية فإن الناس تتفرق من حولك، فيجب أن تكون بهذه الصفة.

لذلك فإن قضية مظهر الإنسان وسلوكه لها دور كبير في بناء العلاقة مع الآخرين .

حقيقة الإيمان (٣١)

قال رسول الله ﷺ: (الإيمان عقد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان) (٣٢).

تشير هذه الرواية الشريفة عن رسول الله ﷺ إلى مراتب ثلاث، حينما تنسجم وتتواءم وتتفق بعضها مع البعض الآخر، يكون الإنسان قد بلغ مرحلة الإيمان. ويشترك في مرتبة الإيمان القلب واللسان والسلوك؛ إذ العمل يكون على ثلاثة مستويات: أحياناً يحمل الإنسان في نفسه مشاعر معينة سلبية تجاه الباطل وإيجابية تجاه الحق وأهله، وأحياناً أخرى يتجاوز الشعور القلبي الصحيح والتعاطف القلبي الصحيح ويتحول إلى نصره الحق بلسانه، فيتحدث بالحق ويصطف مع أهله بلسانه بالكلمة والتصريح ويتخذ موقفاً من الباطل على مستوى اللسان، وأحياناً يتجاوز الجانب القلبي والجانب اللساني إلى السلوك، فيصطف في موقفه اصطفاً كاملاً مع الحق ويكون هو من أهل الحق، وهناك فرق كبير بين من يساند أهل الحق وبين من يكون هو من أهل الحق.

وموقف الإنسان من الحق على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الإنسان الذي يحمل مشاعر وعواطف اتجاه الحق، ولكن قوله وفعله في اتجاه آخر، فلا يعتبر من أهل الحق.

٣١ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب عليه السلام بتاريخ ٢٠١٣/٢/١٩.

٣٢ . بحار الأنوار ٦٦ : ٦٥ ، ح ١٣ .

النوع الثاني: الإنسان الذي يحمل مشاعر الود ويناصر أهل الحق بالكلمة، ولكن موقفه مع أهل الباطل تحت يافطة واحدة بذريعة أنه مأمور والمأمور معذور، فيعتبر من أهل الباطل أيضاً.

النوع الثالث: الإنسان الذي يكون موقفه وسلوكه وأداؤه مع الحق، ولا يكون الإنسان من أهل الحق إلا بعد أن يحسم هذه المشكلة وهذه الجدلية مع نفسه، بحيث يكون ما في قلبه وما يجري على لسانه، وما يمارسه في سلوكه باتجاه واحد، ومثل هذا الإنسان يكون مرتاحاً وصادقاً مع نفسه ولا اثنية عنده ولا يعيش حالة التناقض الداخلي ولا يعيش حالة الازدواجية في الموقف، فكلمته واحدة لا تتغير.

فالإنسان الصادق دائماً مستقر، بينما يعاني الإنسان الكاذب المخادع من قلق واضطراب نفسي، ولذلك ترون أن جهاز كشف الكذب هو ليس إلا ذبذبات معينة يضعونها على الإنسان ويسأل سؤالا، فإن كان نبض القلب لم يختلف عندما يجيب، فهو دليل على أن ضغط الدم لم يصعد ولم ينزل وهذا معناه أنه صادق.

إذن، الكلام الصادق هو كلام يبعث على الاطمئنان والاستقرار، فيكون الإنسان الصادق هادئاً ومسترخياً وغير متصنع، وحينما يتحدث عن قضية غير واقعية تبدأ عملية التناقض بين القلب واللسان والفعل والأداء، فتبدأ حالات التعرق، وتبدأ حالات التركيز؛ لأن هذا الكلام اصطناع لشيء غير واقعي .

وحينما يتناقض الإنسان في حقيقة إيمانه وفي نظرتة تجاه الله سبحانه وتعالى وفي نظرتة تجاه القيم وفي تعاطيه وتعامله مع الواقع الخارجي الذي

يعيشه، تتولد حالة ازدواجية، وحالة اثينية نعب عنها إسلاميا بالنفاق، والنفاق هو أن يظهر الإنسان شيئاً أو يتحدث بشيء ولكن مشاعره القلبية في شيء آخر، فالنفاق هو أن يقول الإنسان شيئاً ويفعل شيئاً آخر.

وحالة الازدواجية هذه كانت شائعة جداً في العصر الذهبي، وكانت البدايات دائماً بدايات ناجحة وموفقة، ويبقى الإنسان دائماً ينظر إلى المراحل الأولى من تجاربه. وفي أي مجال وجدت صدقية أكثر كان هناك اندفاع أكثر وحماسة أكثر، وبعدها تدخل أشياء كثيرة على الخط. وفي البدء هناك دائماً انطباعات وشعور في تعاطي الإنسان مع هذه التجارب.

وعندما جاء رسول الله ﷺ ودخل الناس بالتدريج إلى الإسلام، وأخذت أعداد المؤمنين به تزداد يوماً بعد يوم، إلى أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأقام دولة وصار للإسلام نفوذ وهيبة، كثر المسلمون وتفاوتت الأهداف والغايات في اعتناق الدين الجديد، وظهرت طبقة من الناس أعلنت إسلامها وأخفت شركها وأخذت تتأمر على الإسلام في الخفاء وتتعاون مع المشركين واليهود سراً للقضاء على الإسلام. ووجدت ظاهرة النفاق في المجتمع الجديد في عصر رسول الله ﷺ، وهي ظاهرة خطيرة جداً، وكانت متفشية في المسلمين بنحو لافت للنظر، حتى أن القرآن كرس أكثر من ستمائة آية في دراسة ظاهرة النفاق وصفات المنافقين وسماتهم وأنماط النفاق وعلاجه، وهناك سورة كاملة في القرآن نزلت باسم المنافقين، وهي تكشف عن مدى تجذر هذه الظاهرة في المجتمع الجديد الذي كان يقوده رسول الله ﷺ، في حين ما زالت التجربة في بداياتها، ويفترض أن توجد فيه أرقى حالات التميز في التطبيق وفي الالتزام، وأن تكون التحديات قليلة، لاسيما أنهم في مناطق منقطعة ونائية، وكان

هؤلاء الناس في جاهلية، وكانت حالتهم الثقافية معاكسة لمبادئ الدين الجديد، وكانوا يعانون صعوبة في تقبل المدرسة الجديدة والفكر الجديد. وكان هذا في تحليل شهيد المحراب عليه السلام أحد أسباب نزول الإسلام في الجزيرة العربية، فقد كان أهلها أناساً متخلفين وجاهلة.

وهنا سؤال يطرح نفسه على بساط البحث، وهو لماذا لم ينزل الإسلام على الأمم التي كانت تعيش حالة حضارية أكثر تقدماً، وكانت شعوبها مشبعة حضارياً بما يجعلها أكثر تفهماً للرسالة الجديدة.

ويجيب شهيد المحراب عليه السلام في تحليله قائلاً: إن السر هو أن الأمة المشبعة حضارياً لا تتقبل الرسالات الجديدة؛ لأن عندها قناعات كاملة أقامت على أساسها حضارتها وقننت على ضوئها حياتها. وحينئذ يكون من الصعب عليها تقويض بنائها الشامخ هذا وإعادة بنائه من جديد على أساس الفكر الجديد.

فالله سبحانه وتعالى أنزل الرسالة الخاتمة على أمة ليس عندها خلفية حضارية معينة، حتى تتقبل، وتحسن التقبل، وتحسن تطبيق هذه الرسالة الجديدة، وتكون قدوة.

وإن أمة كهذه في أولى تجاربها في منطقة صغيرة، في المدينة المنورة، مثل قرية كبيرة من قرى زماننا، تضم عشرات الألوف من الناس، يحكمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير البشر من الأولين والآخرين، وهم يلتفون حوله ويستمعون له، وكان متفرغاً لهم ليل نهار، يفترض أن تكون هذه التجربة تجربة راقية في ظروف كهذه، ولكن نلاحظ أن ثلث القرآن يتكلم عن ظاهرة النفاق.

فماذا سيحدث لو اتسعت التجارب وهزلت القيادات وعظمت التحديات؟، الله يعلم فقط ماذا ستكون النتيجة في مثل هذه التجربة. إن تكريس القرآن الكريم مئات الآيات لدراسة ظاهرة النفاق يعني أن عملية الانسجام بين القلب واللسان والسلوك تتركب باستقامة وتمشي باتجاه واحد .

إنها تجربة صعبة ومعقدة يجب ألا نزهد في دراستها، يقول تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٣٣)، فالإنسان لحظة نطقه بالشهادتين - أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله - يصير مسلماً، فيحقن دمه وعرضه وماله، وأما الإيمان فشيء آخر غير الإسلام، هو أمر يتعلق بالقلب، إنه التصديق بما أنزل على رسول الله ﷺ، وهناك بون شاسع بين كلمات ينطق بها المرء بلسانه وبين ما يعتقد ضميره وتنطوي عليه جوانحه.

إن معنى أن يكون الإنسان مؤمناً هو أن يتصالح مع نفسه، وأن يعتقد قلبه بالمشروع، وأن تنسجم مشاعره وعواطفه مع المشروع ثم تصل هذه القناعة إلى مستوى أن يتبنى هذا المشروع على لسانه ويدافع عنه ويشرحه ويوضحه، ثم ينتقل من اللسان إلى الأداء الخارجي، وحينئذ يكون منسجماً مع هذا المنهج، أي ينصهر ويذوب فيه. وهذه هي سمات الإيمان بالله، وهذه هي سمات الإيمان بالمشروع الرسالي والإيمان بقيم ومبادئ أهل البيت (ع)، وهذه هي سمات الإيمان بالمشروع السياسي، ولذلك فإن أهل الباطل ينجحون أحياناً في تحقيق مثل هذا الإيمان في مشروعهم الباطل لمصلحة معينة ينظر لها بطريقة يؤمن بها ويقولها ويفعلها .

وقد يخطئ الإنسان في تشخيص الحق، ويعتقد بأن الباطل هو الحق والحق هو الباطل، ويعتقد بأنه من أهل الإيمان وهو ليس كذلك، ولكنه في نفس الوقت لم يؤمن بالباطل لأنه باطل وكان يجهل بطلانه، ولو علم بذلك لم يؤمن به، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه: ” لا تقاتلوا الخوارج من بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه“^(٣٤)، فهؤلاء الخارجون عن طاعتي يقاتلونني ويتقربون إلى الله بدمي، ولكن يفعلون ذلك لأنهم فهموا الامور فهماً خاطئاً، فهم ليسوا كبني أمية الذين عرفوا الحق فخالفوه، وعرفوا الباطل فاتبعوه لأن فيه مصالحهم.

وينبغي لمن يؤمن ألاّ يتنازل عن إيمانه أمام بريق المغريات فينهار صرح إيمانه الشامخ لندى زائلة، ولنا في رسول الله ﷺ، قدوة حسنة، فقد عرض عليه المشركون الملك والمال والنساء ولكنه رفض رفضاً قاطعاً دنياهم الباطلة، وقال قولته المعروفة: ” والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه“^(٣٥)، وهو صادق في ما يقول، وهذه ذروة وقمة الإيمان.

وقد يتعرض المؤمن إلى التنازل عن إيمانه أمام التهديد والوعيد بالقتل، وهنا يضع أهل البيت ﷺ منهاجاً في كيفية التعامل مع حالة كهذه، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لشيعته المخلصين: «أما السب فسبوني، فانه لي زكاة ولكم نجاة. وأما البراءة فلا تتبرؤوا مني، فاني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة»^(٣٦)، إذا طلب منكم أن

٣٤ . نهج البلاغة ١ : ٨، ١، ح ٦١ .

٣٥ . بحار الأنوار ٩ : ١٤٣ .

٣٦ . نهج البلاغة ١ : ٦، ١، ح ٥٧ .

تسبونني فسبونني واحفظوا أرواحكم، ولكن إذا طلبوا البراءة فلا تتبرؤوا مني؛ لأن البراءة هي حالة انكسار المشروع الرسالي، وحياتك في هذا المشروع، وهو فلسفة وجودك، والبراءة تعني أنك إنسان أجوف فارغ، فما قيمة الحياة حينما يعيش الإنسان حالة الفراغ؟!

فالإيمان هو الموامة والانسجام بين القلب واللسان والفعل، ونحن إذا أردنا أن ننجح في مشروعنا في بناء دولة عصرية عادلة، وفي إشاعة الخير، وفي إشاعة التسامح بالرغم من التحديات التي تقف في وجوهنا، فالمدخل أن نبدأ من أنفسنا ونسألها؛ هل نحن مؤمنون بهذا المشروع؟ فإذا كنا مؤمنين فنحن قادرون على أن نمضي في هذا المشروع حتى نهايته، ونتغلب على جميع التحديات، وذلك بأن نتصالح مع أنفسنا ولا نشعر بضيق، فمن الممكن أن يوجد شخص في قصر من القصور ويحوطه الغلمان والخدم والحشم ومع ذلك فهو يعيش أعلى مراتب التعاسة والكآبة. وفي المقابل هناك

شخص في زنزانة انفرادية ومع ذلك فهو يعيش أعلى حالات الانسراح والارتياح؛ لأنه متصالح مع نفسه ويرى أن هذه الزنزانة الانفرادية تدخل في صلب التزامه القلبي وإيمانه بالمشروع الذي هو متمسك به، وهو مرتاح تحت السياط أو على المشانق ويعيش أعلى حالات الارتياح والبهجة ويرى نفسه مضحياً، لذلك هو سعيد.

وفي صحراء كربلاء يتمازح أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في ليلة عاشوراء مع بعضهم، فيقول أحدهم: أهذا وقت مزاح؟ فيجيبه الآخر: إذن متى يتمازح، ونحن الآن نستعد للذهاب إلى الجنة؟!، فهذه لحظة الانسراح والفرح يتسابقون فيها إلى الموت؛ لأن عندهم إيماننا بالمشروع، ومعه

يتحول العطش إلى عنصر مؤانسة، وهؤلاء السبعون ألفاً الواقفون أمامه لا يخيفونه ولا يرهبونه ولا يعنون له شيئاً.

ومن الممكن أن يتصف كل واحد منا بصفات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام إذا حققنا هذا الإيمان بالمشروع، وهذا مشروع متجدد، فكل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء، وكل زمان له رجال، وله اصطافات، وله تجسيد معين، وله واقع يتجسد على الأرض.

نسأل الله أن يعيننا في أن نكون ممن يؤمن بهذا المشروع ويتجسد هذا المشروع في وجوده. وإذا ما بدأنا من أنفسنا، وإذا أصبحنا مؤمنين بالمشروع فإن تيار شهيد المحراب عليه السلام سينتصر في العراق وفقاً للسنن الإلهية التي لا تتبدل ﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٣٧) فهذه السنن الثابتة تبدأ منا .

نسأل الله أن نكون من المؤمنين بهذا المشروع حقاً، والحمد لله رب العالمين.

تخشع النفاق (٣٨)

قال رسول الله ﷺ، (إياكم وتخشع النفاق، وهو أن يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع) (٣٩).

تشير هذه الرواية الشريفة إلى واحد من المبادئ المهمة في حركة الإنسان، ولعل أمثالنا من المتدينين الذين يسرون في خط التقوى والورع والالتزام معنيون بمثل هذا الخطاب أكثر من غيرنا، وتوجد أوساط أقل التزاماً، فليس الالتزام عندهم منقبة، وقد يتبجح بعضهم مع البعض الآخر في مواقف معينة وإساءات وعلاقات مشبوهة إلى غير ذلك، ولكن في الوسط الإيماني يصبح التدين والإيمان والورع والتقوى منقبة ومكرمة وقيمة أخلاقية واجتماعية أيضاً في أوساط المؤمنين، فأكثر الناس تديناً والتزاماً أكثرهم مكانة واحتراماً وتقديراً، وهذا ما قد يدفع بالإنسان إلى أن يتظاهر بشيء أو يكون دائم الذكر له، ويحرص أن تكون العبرة ظاهرة عليه، وأن تكون ملامح المؤمنين ظاهرة في مظهره وفي تعامله، ويكثر من استعراض الآيات القرآنية في حديثه، إلى آخر مؤشرات وظواهر التدين، ولكن من الناحية الواقعية عندما يختلي مع نفسه ومع ربه لا يشعر أنه يمتلك هذا الخزين، فيظهر تفاعلاً كبيراً، ويظهر أنه يستشکل ويتوقف، ولكن عندما ترى معدنه لا تجد مثل هذه الاحتياطات ومثل هذا الخشوع القلبي بين يدي الله سبحانه

٣٨ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب

نشر

٣٩ . بحار الأنوار ٧٤ : ١٦٤ ، ح ١٨٨ .

وتعالى، وتتحول إلى عملية تظاهر، والتظاهر في أمر الدين أخطر بكثير من التظاهر في السلوكيات والمواقف والمجالات والميادين الأخرى؛ لأن هذا مرتبط بالدين .

والسؤال هو ما العلاج مادام هو في الواقع ليس خاشعاً؟ وكيف يوجد سمات الخشوع في قلبه؟ والخشوع منقبة وكرامة ومنزلة وقيمة. والعلاج أن يسعى إلى تغيير الباطن ليكون منسجماً مع الظاهر. وهنا أيضاً مطب من المطبات الشيطانية، فالشيطان يقول له إن عملية الانسجام بين الظاهر والباطن يمكن أن تتم أيضاً من خلال تغيير الظاهر، فمن يتجاهر بشرب الخمر مثلاً يكون صادقاً مع نفسه، أو لا يريد أن يضحك على الذقون، أو لا يريد أن يستغل الدين. ولكي لا يقع مثل هذا الإنسان في شرك الشيطان نسأله: هل ان شرب الخمر أمر حسن أو عدم الشرب؟ وهل أن تصلي أمر حسن أو ألا تصلي؟ وهل أن تلتزم بالدين أمر جيد أو ألا تلتزم؟ وهل أن تكون فيك صفات المؤمنين أمر جيد أو ألا تكون؟ وهل أن تكون خاشعاً أفضل أو ألا تكون كذلك؟ فإن أجبت بالإيجاب فحاول أن تجعل باطنك ينسجم مع ظاهرك، وذلك بأن تغيّر باطنك، وليس بأن تغيّر ظاهرك لكي ينسجم مع باطنك. وعليك أن تبذل جهدك في إصلاح نفسك وفي تكامل نفسك ومن ثم تكامل مجتمعك.

إذن علاج حالة عدم الانسجام بين ما نظهر وبين ما نبطن، بين جوهرنا وواقعنا، هو أن نبذل جهدنا لتغيير الجوهر، لنكون حقيقة خاشعين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَع قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٤٠).

ونرى في أدعية الإمام السجاد (عليه السلام) أنه يطلب دائماً أن يكون الإنسان

أحسن مما يتصوره الآخرون، وهذا يحتاج إلى توسل إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى تضرع وطلب حقيقي من أعماق الوجود، يقول ﷺ: «إلهي لا ترفعني في الناس درجة إلا وضعنتي عند نفسي مثلها»^(١٤)، فكلما ارتفعت بين الناس درجة فأزلني في داخلي درجة أيضاً لكي لا أصاب بالغرور والنرجسية والاعتداد بالذات، وحينئذ أشعر بقيمتي الحقيقية، التي هي لاشيء بين يدي الله سبحانه وتعالى، حتى لا أغتر بزخارف الدنيا. فحينما تسلم علينا الناس وتحترمنا وتجلسنا في صدر المجلس لا ينبغي أن نصدق أننا فعلاً نستحق ذلك، ويجب أن نشعر في أعماقنا بالتواضع الحقيقي بين يدي الله سبحانه من غير تصنيع. وهذا يحتاج إلى عمل حقيقي على النفس، وإذا كان الناس يظنون بنا خيراً، ويجدون فينا أننا أقرب إلى الله تعالى فيطلبون منا الدعاء، بينما نحن لا نرى ذلك في وجودنا، ولا نشعر بأنفسنا أننا أقرب إلى الله تعالى من الآخرين، فهذا يدعونا إلى أن نغير في سلوكنا، وندعو الله تعالى ونقول: يا إلهنا مادام هؤلاء الناس ظنوا بنا خيراً، فببركة هؤلاء وآمالهم وتوقعاتهم اجعلنا أفضل مما يتوقعون. فنحول هذه التوقعات من الناس وهذه النظرة الايجابية إلى عنصر ضغط على أنفسنا في سبيل إصلاحها.

وعندما كان شهيد المحراب عليه السلام يظهر للجمهور ويهتفون له كان يبكي في بعض الأحيان ولا يتمالك نفسه على المنصة، وكان يبكي امام الشاشة أيضاً. ولكن في بعض الأحيان كان يمسك أعصابه، وعندما يتعد عن الناس ويذهب إلى البيت يجلس ويبكي بكاء شديداً، وقد شاهده يفعل ذلك أكثر من مرة. ويفسر هذه القضية أن الناس يظنون

بنا خيرا، فيهتفون ويصيحون، وليس في فكرهم ألا نكون كذلك. فيحول إقبال الناس ورغبتهم إلى عنصر ضغط إضافي في تربية نفسه وتزكيتها. أحبتي نحن اليوم بأمس الحاجة إلى هذا الدرس الكبير .

إذا شعرنا بفرح يجب أن نقلق على أنفسنا، وإذا شعرنا بفرح بهذه الثقة مشوب بالقلق، فعلينا أن نفي بالواجب، حينذاك يجب أن نشعر بالاعتزاز بهذه الخصوصية .

لذلك، هذه مفاهيم مهمة جدا تحتاج إلى أن نتخلق بها ونستعد للمرحلة القادمة .

خصال الإيمان (٤٢)

قال رسول الله ﷺ: (ثلاث من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان: الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق ، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له)^(٤٣).

يلاحظ في هذه الأمور الثلاثة أنه ليس فيها عبادات، بل هي مفاتيح لبناء الشخصية، وكيف تبني الشخصية في الرؤية الإسلامية، ومن المهم جداً الالتفات إلى مثل هذه الروايات التي تتحدث عن هذا التوجه.

الأولى: (الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل)، أي عندما يكون في حالة الرضا لا يصاب بالغرور والنرجسية والاعتداد بالنفس، فنرى أن غيرنا لا يستطيع أن يأتي بعملنا، فنحن هكذا، ونقول نحن ولكن غايتها أن الأنا الجماعية خطيرة أيضاً بقدر ما الأنا الشخصية خطيرة، وهذه إحدى الهفوات التي نقع فيها، فنقول نحن ونعني بها نحن فقط لا غيرنا. وينبغي ألا يدفع الشعور بالرضا للإنسان للذهاب نحو الباطل، ولذلك نرى هذا الخط الصاعد يؤدي إلى تسافل وتراجع، فالإنسان غالباً عندما ينجح يصاب بالغرور وبالارتخاء. ولذا علينا بعد أن نكمل العمل ونفرغ منه ونكتسب الجولة، أن نستعد أكثر؛ لأن وراءنا مرحلة أخرى.

والآن وبعد هذا الانتصار أمامنا انتخابات في نيسان، ولا ينبغي أن نصغي لمن يقول: دعونا الآن حتى نلتقط الأنفاس ونرتاح. ما هي الراحة؟ لا توجد راحة، راحتنا في العمل، في الانتصار، مادام هناك

٤٢ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب تتسطر.

٤٣ . الكافي ٢: ٢٣٩، ح ٢٩.

عمل فهذا يعني أن هناك فرصة يجب أن نستثمرها ونستفيد منها، يجب أن نستمر. لقد كنا نرى شهيد المحراب رضي الله عنه أحياناً في سنه الأخيرة وهو في الثالثة والستين من العمر - كان في سن رسول الله ﷺ يوم استشهاده، سبحان الله، هو أيضاً استشهد في الثالثة والستين - منهمكاً في العمل، فنقول له: أما تستريح قليلاً، فلا يقبل ويقول: من يضمن عمره، مادام هناك عمر يجب على الإنسان أن يعمل. هذه هي البركة، وبالفعل لو كان يخلد إلى الاستراحة لما كتب مقالاً ولا كتاباً، وهذه كلها قد حسمت وارتاح راحة أبدية، ولكن استثمر وقته كله. ونحن أيضاً يجب أن نكون من هذا النوع.

لقد أصابنا الاسترخاء بعد الأول من رجب، ذكرى تأسيس المجلس الأعلى، مدة شهر إلى شهر ونصف الشهر، كما أن اليوم هو التاسع من محرم، وقد ازداد مستوى الانضباط والتحشيد والخبرة والاحتراف، ويجب من الناحية الأخرى أن نقلل من مستوى الترهل والاسترخاء إلى أقصر الحدود.

الثانية: (وإذا غضب لم يخرج الغضب من الحق)، أي لا ينبغي أن يكون التعامل على أساس الانفعالات أو الارتجال أو الانانيات أو الانطباعات، فالإنسان المؤمن متوازن في شخصيته، إنسان متوازن في ساعة الغضب، يحاول أن يصبر، ولنا في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدوة حسنة، ففي مواجهته لعمر بن عبد ود شر الناس وأسوأ الناس في معركة الخندق، وقد جلس على صدره ليحتز رأسه، بصق اللعين في وجه مولانا أمير المؤمنين رضي الله عنه، فغضب وتحركت مشاعره، ولكنه لم ينزل حكم الله فيه وهو في حالة الغضب، فنهض

من صدره وسار خطوات إلى أن هدأ روعه وسكن غضبه ثم رجع إليه واحتز رأسه، ليكون عمله خالصاً لله عز وجل. وهو بهذا أوضح موقفاً عبادياً لم يشأ أن يفعله في لحظة الغضب والانفعال لئلا يدخل في عمله الخالص لله تعالى شيء ولو بنسبة واحد في المائة. فما بالنا في لحظة الغضب نندفع مع انفعالاتنا ولا نسيطر على مشاعرنا؟! نحن بحاجة إلى أن نكظم غيظنا، ونصبر إلى أن يهدأ غضبنا، لكي نرى الموقف الصحيح والعمل المناسب. والإنسان الذي لا يحركه الغضب والانفعالات، بل يحركه العقل تكون خطواته استراتيجية لا تكتيكية، والغضب يرتبط دائماً بالتكتيك، بينما التريث والتأمل يرتبط بالاستراتيجية.

الثالثة: (وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له)، أي لا يستحوذ، ولا يحتكر، ويعفو عند المقدرة. انظروا إلى هذا المنهج، فعندما لا يلتزم الإنسان بحدود معينة عندما يمتلك القدرة ويتمادي في طغيانه، لا يحق له أن يقول أنا لا أظلم! من قال إنك لا تظلم؟ فمن المحتمل أن يكون كل واحد منا هو صدام، فهل صدام نازل من كوكب آخر؟ وما هو إلا وليد فرصة جاءت ووهبته القدرة على الآخرين، فخضعوا له، ورأى الناس قد خضعت له أكثر عندما قطع عشرة رؤوس، وهكذا صار صدام، فهو ليس حالة نادرة، بل هو ظاهرة، ومن المحتمل أن يكون كل منا صدام عند المقدرة! فلا بد من أن يسيطر كل واحد منا على سلوكه، ويتعامل بانضباط واعتدال واتزان.

مبدأ الكتمان (٤٤)

قال رسول الله ﷺ: (استعينوا على أموركم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود) (٤٥).

تشير هذه الرواية الشريفة إلى واحد من المبادئ المهمة في عملية التصدي، فحينما يتصدى الإنسان، وحينما يكون صاحب مشروع ذي خصوصيات معينة، وحينما يطلع عليها الآخر، يمكن أن يستغل هذه المعلومة للضغط والاساءة لمصادرة الجهود واتخاذ اجراءات تحد وتمنع من نجاح المشروع وتآلقه. لذلك حينما يمنح الإنسان نعمة التأثير والرؤية الصائبة والمبادرات والمشاريع يجب أن يحافظ على خصوصياتها، وهذه خطوة مهمة في منهج أهل البيت (ع)، لتصل إلى حد أن هناك نصوصا واضحة وصريحة وصحيحة السند تحمل على أساس التقية، بمعنى أن الإمام (ع)، قد وجه له سؤال وكان ضمن الحاضرين شخص يخشى منه لسبب أو لآخر فلم يستطع أن يعطي الموقف الكامل وأعطى وجهة نظر معينة حفاظاً على الحضور ألا يُشخصوا. إذن مسألة التقية تصل إلى مستوى أن يبين الإنسان موقفاً يعبر عن جزء من الحقيقة وليس كامل الحقيقة مراعاة لمثل هذه الظروف.

وكان شهيد المحراب رضي الله عنه قد طرح مفهوماً جديداً للتقية، يقول: يفسر الفقهاء التقية على أنها لدفع الضرر في المال أو العرض أو النفس، ولكن

٤٤ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب المتقدمة في تيار شهيد المحراب رضي الله عنه

التقية تكون أحياناً للمدارة، مع عدم وجود ضرر يترتب على المال أو النفس أو العرض، وإنما هي لتأليف القلوب لكي لا تنشق الساحة، ولكي لا ندخل في مشاكل عنصرية أو طائفية، ولذلك يقول الإنسان أحياناً جانباً من الحقيقة ويخفي الجانب الآخر لمدارة أحد الحاضرين. وهذا فهم متطور لمبدأ التقية.

وعلى كل حال فنحن بحاجة ماسة إلى مبدأ كتمان الأسرار، والتوازن بين حقيقتين نحن نفتقدهما، حقيقة أن هناك معلومات يجب أن تصل إلى من يستحق الاطلاع عليها، لم نستطع أن نصل إلى رؤية واضحة. فإذا كان هذا التحالف قد حصل فما تفسيره؟ وإذا لم يحصل فما السبب؟ فالمعلومة التي يجب أن تصل لا تصل، والمعلومات التي يجب التكتم عليها وفيها طابع أمني وخصوصية وفيها بعض الأسرار تنتشر بسرعة. وأنا أعلن لكم من هنا بأن كل ما نقوله - نحن الحضور- في التليفون لا نتقيد به. وأنا أحياناً أكون جالساً في سيارة مع أشخاص من أعلى المستويات ويتحدثون حول أوضاعنا بمقدار عشرة بالمائة، ولكن أنا غير مستعد لأن أتكلم معهم بمقدار واحد بالمائة، فهناك مسجات على التليفون الخاص، وتأتي أشياء استغرب كيف تبعث هذه الأشياء إلى جهات مجهولة.

والخلاصة أنه لا توجد لدينا ثقافة الكتمان وثقافة حفظ الأسرار. وهذا يجعلنا ندفع ضرائب كبرى، وتعرضنا إلى مشاكل كبيرة، ونحن بحاجة الى شدة ومتابعة وحرص في التضييق على المعلومات الخاصة حتى لا تصل، وشدة وتوسيع ثقافة المعلومات التي نريدها أن تصل، والتفكيك والتفريق بين هذين النمطين من المعلومات.



الفصل الثاني

دروس

رسالية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكريم والمسؤولية (٤٦)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الكريم يرى مكارم أفعاله ديناً عليه يقضيه)
(٤٧).

تشير هذه الرواية الشريفة إلى طبيعة المسؤولية التي يتحملها الإنسان عندما يتصف بالكرامة ولا يفرط بأي فرصة أو مجال للخدمة، وإذا ما ضاعت الفرصة لسبب أو لآخر يعتبرها ديناً واجب التعويض، ولا يبحث عنها لنفسه، ويستثمر كل فرصة ويبدل المزيد من الطاقات في تحقيق ما ضاع عليه من فرص في زمن ما، فكل مرحلة يتعلم فيها الإنسان شيئاً جديداً، فالإنسان الكريم لا يفتح صفحة جديدة ويتناسى الماضي، بل يعمل بأثر رجعي، وتأريخه سيال أمامه، ويستطيع اقتناص الفكرة الجديدة من الماضي.

ونحن كتجمع أعد فيه الكثير من الآفاق والفرص والطاقات، ولكنه انفتاحي في مسيرته، وكلما زاد انسجامنا أرحنا وقللنا من ثغرات

٤٦ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال اجتماعه الدوري مع هيئة قيادة تجمع الامل
٤٧ . عيون الحكم والمواظ : ٢٠٠٢ .

العمل، ودائماً يجب أن ننظر إلى ما قطعنا من أشواط في مسيرتنا السابقة لنعيد تقييم ما مضى.

ويجب أن يكون الحافز لأعمالنا هو ما تقتضيه صفة الكريمة من اعتبار ما يأتي به من أعمال صالحة للآخرين هي قضاء لما في ذمته من دين للمجتمع ازاء ما قدمه له من خدمات لا حصر لها. وإن توفرنا على مثل هذا الشعور فانه يسد الطريق أمام أي شعور بالمنة والتفضل والتكرم التي تنطوي عليها نفس اللئيم عندما يقوم بتأدية خدمة للآخرين تقتضيها مصالحه الآنية. وهنالك بون شاسع بين أفعال الكريمة التي تنطلق من منطلق الوفاء بالدين، وبين أفعال اللئيم التي يعتبرها ديناً في ذمة الآخرين يجب عليهم الوفاء بها.

الجد والمثابرة (٤٨)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لن يقام الدين وتصلح الدنيا إلا بالجد)^(٤٩).

تشير الرواية الشريفة إلى حقيقة مهمة، وتعد أحد مفاتيح نجاح العمل، وهي الجد والمثابرة والإصرار والمتابعة، التي بها يحصل الإنسان على غاياته، سواء كانت دنيوية أو أخروية. فمن أراد الدنيا فعليه أن يبذل جهداً من أجلها، ومن أراد الآخرة فعليه بناء الدنيا للآخرة. ولا استثناء من هذه القاعدة الكلية. ولا يمكن أن يحصل الإنسان على شيء من أمر الدنيا أو الآخرة بالنيات الطيبة وكونه على حق، فهذا كله لا يكفي، بل لابد من الجد والمثابرة، وحينئذ يأتي التوفيق الإلهي والعناية الإلهية والعطف الإلهي. ويجب أن نكون جادين، ونستنفر جميع الإمكانيات والطاقات، ولا تصبح جهودنا جهوداً موسمية، بل ينبغي دائماً أن نعمل بجدية تامة.

وما أوصل الكسل في يوم من الأيام أحداً إلى خير في أمر دينه أو دنياه، وهو يمنع الإنسان ما قسمه الله تعالى له من نصيب في الدنيا والآخرة على حد سواء، فإن من يريد الدنيا لا يحصل عليها إلا بالمثابرة والجد، وكذلك الآخرة. فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله لبعض ولده: "إياك والكسل والضجر، فانهما يمنعانك حظك في الدنيا والآخرة"^(٥٠).

وكما أن الجد والمثابرة مفتاح الصلاح في أمر الدين والإصلاح في

٤٨ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال الاجتماع الدوري هيئة قيادة تجمع الامل

٤٩ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢ : ٢٦٥ .

٥٠ . الكافي ٥ : ٨٥ ، ح ٢ .

أمر الدنيا، فكذلك الكسل والضجر هما مفتاح الفساد في أمر الدين والإفساد في أمر الآخرة. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كل سوء، إنه من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق»^(٥١)

ولهذا تكرر الخطاب الإلهي للإنسان بالدعوة للعمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾^(٥٢).

لذلك نوصي أنفسنا والاخوة في تجمع الأمل بالألا تكون هناك حالة برود أو ركود، وأن أي نجاح ينبغي أن يكون حافزاً لتحقيق نجاح أكبر منه، لذلك علينا أن نسعى لتحقيق إنجازات أكبر.

إن من الأهداف الأساسية لحركة الإسلام هو إقامة الدين وإصلاح الدنيا، وهما لا يتحققان إلا بالاجتهاد والجد المتواصل من جماعة المؤمنين المخلصين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عِنَقَبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٥٣).

فليكن شعارنا أيها الإخوة والأخوات هو العمل المخلص الدؤوب لإقامة الدين من خلال تطبيق أحكام الإسلام، وإصلاح بلدنا العزيز وإنقاذه من التخلف والفساد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٥١ . وسائل الشيعة ١٧ : ٥٨ ، باب ١٩ من كتاب التجارة ، ح ٣ .

٥٢ . النحل : ٩٧ .

٥٣ . الحج : ٤١ .

حدود المخالطة (٥٤)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (خالطوا الناس مخالطة إذا متم بكوا عليكم، وإذا عشتم حنوا إليكم) (٥٥).

من دلالات هذا الحديث الشريف أنه يدعو الإنسان ألا يكون فظاً غليظاً، سواء مع عائلته أو مع زملائه في العمل، وخصوصاً إذا كلف بمسؤولية خاصة، فإن الناس تنظر للمدير أو القائد كقدوة وتسجل نقاط قوته وضعفه.

ومن مدلولاته أيضاً الدعوة إلى ترك الأنا والتعامل بتواضع ومصداقية، وهنا نشير إلى قول السيد مهدي الحكيم (قده): نحن ترايبون كعلي عليه السلام، ولكن في نفس الوقت نحن ملوك كعلي عليه السلام. إذن كلما كان الإنسان متواضعاً بدرجة كبيرة يكون ملكاً.

ويدل أيضاً على مراجعة النفس، حيث إن مراجعة النفس ضرورة، ومنها أخطاؤنا اليومية، وهنا تكون العلاقة من القلب إلى القلب. وإذا فعلنا هذا بيننا نحن أعضاء هيئة القيادة المركزية، وتعاملنا بنفس الطريقة مع امتداداتنا وموظفينا فإن الناس سيأتون إلينا طواعية.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً قوله: (إنما البصير من سمع ففكر، وبصّر فأبصر، وانتفع بالعبر) (٥٦).

٥٤ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال الاجتماع الدوري هيئة قيادة تجمع الامل

٥٥ . نهج البلاغة ٤ : ٤ ، ح ١٠٠ .

٥٦ . عيون الحكم والمواعظ : ١٧١ .

تشير هذه الحكمة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام، إلى واحدة من الحكم المهمة في كيفية التعاطي مع واقع الحياة، وهي ألا يكون الإنسان سطحياً، وألا يقف على الشكليات، ويجب أن يقف على الأمور بواقعية، وأن يترى، وأن يدقق ويحلل الظواهر ليكتشف عمقها ويقرأ خلفيتها ودوافعها، أي يجب أن يقرأ ما بين السطور ليقف على حقيقة الموضوع بهذه الأمور.

ويمكن أن نحدد الفرق بين البصر والبصيرة، حيث إن الصورة الفوتوغرافية تعبر عن جزء من الحقيقة وهو الشكل الظاهر، وهي لا تصلح لتشخيص الداء، ولتشخيص الداء يجب أن تكون هناك أشعة، وأحياناً لا تكفي هذه الأشعة. وحتى مسألة الاستفادة من العبر، فالقصص دائماً كما هي، ولكن الأسماء تتغير والجوهر باق دائماً، الذي هو الحق والباطل، نوازع الخير ونوازع الشر، ولكن المهم أن نعرف قواعد اللعبة حتى نستطيع الفوز ونعرف أن نشخص الأمور بصورة صحيحة.

اكتساب الاخوان (٥٧)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم) (٥٨).

تشير هذه الرواية الشريفة إلى أن الفاعلية في الشخصية الإنسانية تكمن في الانفتاح على الآخر، والقدرة على كسب الآخرين، وكيفية إقناع الآخر بفكرته وضمه إلى جانبه، وأن من لم يستطع ذلك فهو عاجز، واعجز منه من يضيع من جذبه وكان مؤمناً بفكرته.

إننا أمام أمرين مهمين للعمل الجماهيري، الأول: زيادة أعداد الاصدقاء واتخاذ أصدقاء جدد بشكل مستمر وعدم الاقتصار على الأصدقاء القدامى، والأمر الآخر هو المحافظة على من نحصل عليه من الأصدقاء، وهو أسهل من الأمر الأول، فإن من عجز عن المحافظة على أصدقائه فهو أعجز عن كسب الأصدقاء.

والمحافظة على الأصدقاء يتم من خلال التزاور والتفقد والاحترام، والسعي في حوائجهم، وحسن الخلق معهم، وحسن البشر في وجوههم، والعفو عن أخطائهم، وكظم الغيظ عن سوء تصرفاتهم، والحلم عند جهلهم، والتواضع لهم، ومداراتهم، والرفق بهم.

وأما كسب الأصدقاء فيتم من خلال اللقاء المتكرر معهم في أماكن العمل

٥٧ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال الاجتماع الدوري هيئة قيادة تجمع الامل
٥٨ . نهج البلاغة ٤ : ٤ ، ح ١٢ .

أو الدراسة أو المجالس أو المنتديات وأمثالها، أو التعرف على أصدقاء جدد بواسطة صديق قديم، ثم التواصل معهم باستمرار إلى أن تتوثق العلاقة مع مرور الزمن، أو الاستفادة من الوسائل الجديدة في التعارف من خلال المجالات والفييس بوك وغيرها.

والرسالي الهادف هو من يستطيع استثمار هذه العلاقات لهداية الناس وإصلاح المجتمع، ويتجنب استغلال الصديق لمنافع شخصية، وإن كانت الصداقة بنفسها لا تخلو من فوائد دنيوية.

ويجب مراعاة الموازنة الدقيقة بين توسيع دائرة الاصدقاء والاستغناء عنهم، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك»^(٥٩). ويتم ذلك بأن تتعامل معهم ظاهراً معاملة من يفتقر إليهم في لين الكلام وحسن البشر، وأن تعاملهم من جهة أخرى معاملة من يستغني عنهم بأن تنزه سمعتك من سؤال ما في أيديهم وتبقي عزك بعدم الطمع بما في أيديهم.

استيعاب الناس (٦٠)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء) (٦١).

يشير أمير المؤمنين عليه السلام هنا إلى أن العمل مع التجمع وبناء العلاقة مع الآخرين على أساس المال والعلاقة النفعية الخاصة لا يستمر. وهو أساس خاطئ، وإن كان الاهتمام بالمال ضروريا لخدمة الناس، ولكن العلاقة النفعية يجب ألا تكون متجذرة في المجتمع. ولا يجوز الاستهانة بالآخرين، فإن الإمام عليه السلام يشير إلى أن العلاقة مع الآخرين ينبغي أن تبنى على أساس المودة وطلاقة الوجه وحسن اللقاء، فلا بد من حسن التعامل مع الآخرين.

والمراد بطلاقة الوجه هو الوجه البشوش في مقابل الوجه العبوس، والمراد بحسن اللقاء هو لقاء الناس بالابتسامة والكلام الطيب. وطلاقة الوجه وحسن اللقاء هما المرشدان للأعمال الحسنة، وهما اللذان يجتذبان القلوب ويغرسان فيها المحبة والمودة. وأما عبوس الوجه وخشونة الكلام فينفران الناس ويحولان دون سماع نداء الحق. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة ويدخلان الجنة، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار» (٦٢).

٦٠. كلمة سماحة السيد بالجماع الدوري هيئة قيادة تجمع الامل

٦١. بحار الأنوار ٦٨ : ٣٨٤، ح ٢٢.

٦٢. الكافي ٢ : ١، ح ٥.

ومن آثار حسن البشر، نزع الحقد والضغينة من القلوب، وزرع الصفاء والمحبة فيها، فقد روى الإمام الكاظم عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «حسن البشر يذهب بالسخيمة»^(٦٣)، والسخيمة هي الحقد.

استثمار الوقت (٦٤)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الأيام صحائف آجالكم، فخلدوها أحسن أعمالكم) (٦٥).

تشير هذه الحكمة العلوية إلى أهمية الوقت في حياة الإنسان. وهو تشبيه جميل حيث يعتبر الأيام بمثابة صحيفة لأعمال الإنسان، والأيام هي أجله وعمره، وشبه أعماله فيها بالكتابة عليها، ولكن ميزة هذه الصحيفة أن ما يكتب فيها لا يمحي، بل يخلد كالنقش على الحجر، ومادام يخلد فلنخلده بأحسن أعمالنا. وستبقى في علم الله تبارك وتعالى إلى أبد الأبدين، وستعرض هذه الصفحة على الإنسان في يوم الحساب، وسيجد ما عمل حاضراً أمامه.

وعندما يمسك الإنسان أحياناً بورقة لا يهتم بما يكتبه عليها، ولكن عند حصوله على دفتر يحاول أن يكون خطه حسناً ومضمونه راقياً، وإذا عرفنا أن هذه الآجال هي صفحات سيقراها الآخرون فما نتركه وما نخلده لهم يجب أن تكون أحسن الأعمال. وإنه لدرس عظيم أن ننتقي ما يجب أن نقدمه للآخرين، وأن نضع سلم أولويات، ولا نكتفي بالحسن بل نبحث عن الأحسن، وهذا هو فقه الأولويات وربط العمل بالهدف والاستراتيجية.

٦٤ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى الاسلامي العراقي بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٠ .
٦٥ . عيون الحكم والمواعظ : ٦٢ .

نسأل الله أن يجعلنا ممن يكتب أعماله بالشكل الصحيح، ويخلدها في عمره ولا سيما في هذه الأوقات الصعبة، حيث نحتاج إلى توظيف صحيح للجهود، لنكون رقماً في مسار الحياة، فقد استهدف أتباع أهل البيت عليهم السلام وتقطعت أشلاؤهم، وكان الخصم هو من يحدد أوقات المعركة.

مرونة المؤمن (٦٦)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (المؤمن إذا وعظ ازدجر، وإذا حُذّر حذر، وإذا عُبر اعتبر، وإذا ذُكر ذكر، وإذا ظلم غفر) (٦٧).

هنالك مؤشرات لحياة الإنسان كموجود وكائن حي مثل نبض القلب والكثير من العلامات الأخرى، إذا فقدتها يكون في عداد الأموات، وإذا تواجدت فيه فهو حي، وإذا تواجد نصفها فهو في حالة موت سريري، هذه حياة البدن. وتقبلها حياة الروح ولها مؤشرات ومقاييس كما في حياة البدن، وأهم هذه المؤشرات أن الإنسان المؤمن يتفاعل ويتعاطى، وليس له استنتاجات مسبقة، وليس هو جامدا على شيء، بل يتعامل مع الحقائق بموضوعية، فإذا أخطأ ونُبّه صحح مساراته، وإذا قُدّمت له الموعدة تعظ، ويستفيد دائماً من دروس الحياة، وإذا اعتدي عليه لا يتحول هذا الاعتداء إلى عقدة تحول بينه وبين الحياة، ولذلك أينما حل يملأ المكان ويزيل العراقيل ويحقق إنجازاً، وهذه صفات الإنسان المؤمن.

وتشير هذه الحكمة العلوية إلى الصفات المهمة في شخصية المؤمن الذي يتفاعل مع الحياة، ويتحرك أينما يرى الحق. وهذه الصفات هي:

الأولى: يتعظ حينما يوعظ، وينتهي عن الخطأ عندما ينبه إليه، ولا يصبر مستكبراً.

٦٦ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/١١/٥ .

٦٧ . عيون الحكم والمواعظ : ٦٢ .

الثانية: عندما يُحذّر يحذّر، ويحترز من الأخطار التي يحذره منها الآخرون.

الثالثة: يستفيد من العبر والتجارب التي تمر عليه.

الرابعة: عندما يُذكّر يلتفت، ولا يتجه نحو الخطأ.

الخامسة: حينما يتعرض للظلم ويطلب منه من ظلمه العفو والصفح يغفر له ويعفو عنه.

والإنسان الذي يعيش روح التعاون والاستفادة من جميع هذه السمات هو الإنسان المؤمن حقاً.

منهج التعامل مع الناس (٦٨)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ابدل لأخيك دمك ومالك، ولعدوك عدلك وانصافك، وللعامّة بشرك وإحسانك) (٦٩).

في هذه الرواية يطرح أمير المؤمنين عليه السلام نهج التعامل مع الناس، ويقسم الناس إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الاخوة الذين ينتمون إلى أسرة واحدة وبيت واحد، وهؤلاء ابدل لهم دمك ومالك. وأهم ما يمتاز به الإنسان هو عندما يضحى بأسمى شيء وهو الدم والمال وعندما توجد لديه حالة النصرّة لأخيه في ظلامّة يتعرض لها.

الصنف الثاني: هم الخصوم والأعداء، فمن حق العدو عليك أن تكون عادلاً معه، وكفي نفهم أن الخصومات والعداوات لا تعني أننا على حق مئة بالمئة، فلسنا نحن الحق المطلق، وليس الآخر الشر المطلق، فالاختلاف له حدود وله ضوابط، ومن حق الخصم علينا الإنصاف والعدل.

الصنف الثالث: هم عامة الناس، ومن حقهم أن تبذل لهم ابتسامتك وطلاقة وجهك وإشعارهم بالاحترام والاهتمام. وأن تبذل لهم إحسانك من الخدمة والتواصل وحل المشاكل وأن تكون قريباً منهم.

٦٨ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٩.
٦٩ . بحار الأنوار ٧٥ : ٥٥، ح ٧٦.

وهذا المنهج يجعل الإنسان قريباً من المجتمع، وعندما يرى فيك هذه الصفات، يصبح الانتماء هوية ويستحق أن يقدم له كل شيء، والمحايد سوف ينحاز ويقف معك، والعدو سوف يتحدد ويقلل من اعتدائه وشراسته عليك.

الكتمان والبشاشة والاحتمال (٧٠)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (صدر العاقل صندوق سره، والبشاشة حباله المودة، والاحتمال قبر العيوب) (٧١).

تحدث هذه الحكمة العلوية عن أمور ثلاثة ذات أهمية خاصة للعاملين:

الأولى: حفظ السر، فالعاقل قليل الحديث عن سره وخطئه، وكذلك يجب أن نجعل هالة من الكتمان والسرية والغموض تحيط بأعمالنا، ونحفظ في صدورنا ما نخطط وما ننوي، ونحرص على عدم اطلاع الخصوم على ذلك، فإن أخطر شيء هو أن يتعرف العدو على خططنا وبرامجنا.

الثانية: البشاشة، فهي مصيدة كسب مودة الناس، وهي الشبكة التي من خلالها نستقطب الناس ونحولهم إلى التنظيم.

الثالثة: الاحتمال، فالإنسان يحتاج إلى الصبر والتحمل وليس الرضوخ للأمر الواقع، والتغلب على الأمر الواقع من خلال تحمل الإخوة.

٧٠ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/٧/١٩ .
٧١ . نهج البلاغة ٤ : ٤ ، ح ٦ .

مفاتيح التواصل (٧٢)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (يا كميل أحسن حلية المؤمن التواضع، وجماله التعفف، وشرفه التفقه، وعزه ترك القال والقيل) (٧٣).

تشير هذه الوصية العلوية إلى العديد من المفاتيح المهمة لنجاح التواصل الاجتماعي في بناء الذات الاجتماعي.

الأول: التواضع، فإن أهم جلباب يلبسه المؤمن في بهائه وجماله واحترام الناس له هو التواضع، ومن يظن أن الوصول إلى موقع من المسؤولية يعني الاستعلاء على الناس فهو مخطئ. فإن أكثر الناس موقعاً ومكانة هو المتواضع. ولذا ينبغي أن تكون سياستنا هي، سياسة الباب المفتوح والتواضع للناس وخدمتهم.

الثاني: التعفف، وقوله عليه السلام ” وجماله التعفف“ لها معان واسعة، منها: عفة العين، وعفة اللسان، وعفة الاذن، وعفة اليد، وعفة الفكر، أي بماذا نفكر، وماذا نخطط، هل نكيد بالآخر، هل نبرز نقاط ضعف الآخر، وما العلاقة في ما بيننا، وما علاقة الجنسين في عملنا؟.

الثالث: التفقه، وقوله عليه السلام ” وشرفه التفقه“، الشرف: العلو، السمو، الرفعة. أي أن نعلم المنهجية ونعتمد العلم، والتفقه في التنظيم والتفقه في عملنا والتفقه في مهامنا جميعها أيضاً كانت.

٧٢ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٧
٧٣ . بحار الأنوار ٧٤ : ٤١٣ ، ح ٣٨ .

الرابع: العزة، وقوله ﷺ ”وعزه ترك القال والقييل“: عز الإنسان أي أن شخصيته تكون استراتيجية أفضل مما تكون انفعالية - مزاجية، فلا يشتغل بالتفاصيل الصغيرة، وليست تكتيكية، والإسلام يقطع جميع الخيوط التي تؤدي إلى القال والقييل، كحرمة التنصت وحرمة ملاحقة الناس وما يتكلمون به خلف الأبواب المغلقة. فكلما كان الإنسان استراتيجياً ذاب كل شيء أمامه وفتحت له الأبواب.

ويجب على المستوى الفردي تجنب القيل والقال وعدم الانسياق وراء الصراعات الجانبية والنقد غير البناء، وعلينا بالتواضع والعفة والتفقه وترك القيل والقال.

الإنسان بين التوفيق والإخلاص (٧٤)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أجلّ ما ينزل من السماء التوفيق، وأجلّ ما يصعد من الأرض الإخلاص)^(٧٥).

يتعرض أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد وهو أحد حواربيه إلى بيان مجموعة من الأمور هي:

١ - إن أهم ما يقوم به الإنسان من عمل مفيد ومؤثر هو الإخلاص لله سبحانه وتعالى، الذي يعتبر الإطار الذي يفسر عمله وما يفكر به مما يعطيه قيمة.

٢ - النية التي ليست لله تعالى، وكانت من أجل الحصول على شهرة ووجاهة ومال ومكانة ليشبع الأنا، فالعمل القائم على أساس هذه النية ليس له قيمة، والله لا يضيع عملاً، ولكن لا يعطيه شيئاً في الآخرة، والدنيا زائلة.

٣ - وفي مقابل ذلك، هناك عمل مساحته وحجمه أقل، ولكن فيه نية خالصة لله، وعينه على الله، وفيه مرضاة لله، وهذا العمل وإن كان قليلاً، إلا أن هناك مصالح واعتبارات إلهية وأهدافاً وغايات مباشرة ومعلنة تتحقق تبعاً، أي عندما يكون العمل خالصاً لله حتى لو لم يحقق كامل الأهداف.

٧٤ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٤
٧٥ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢: ٢٩١، ح ٣٣٢ .

٤ - وأجلّ ما ينزل من السماء هو التوفيق، وهذه سنن الله سبحانه وتعالى ومسبباته، والله سبحانه وتعالى يجعل الأسباب منتجة وبعضها أقل إنتاجاً وبعضها عقيماً.

٥ - التوفيق والإخلاص متلازمان. نسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لله، ونحن كقوى إسلامية متدينة يجب أن تكون أعمالنا خالصة لله تعالى.

٦ - أوصي نفسي وإخواني وأخواتي دائماً بأن نراجع أنفسنا وأعمالنا بلا مكابرة بيننا وبين أنفسنا. وأن نحرض على وجود حالة المراقبة للنفس والمراقبة للفكر وإلى آخر شيء، وما هو وراءه، هل وراءه خدمة عامة؟ هل وراءه نصرة الدين؟ هل وراءه دفع لخدمة الناس، أو وراءه وجاهات وأنانيات وفرص أكثر؟، فإذا كان الأول فهنيئاً له. ونسأل الله أن يجعلنا كذلك وأن نعزز الإخلاص.

٧ - في هذه الحكمة إشارة إلى موازنة دقيقة وعلاقة طردية بين المزيد من الإخلاص، يقابله المزيد من التوفيق.

خطورة التلون (٧٦)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إعلموا أن الله عز وجل يبغض من عباده التلون) (٧٧).

تشير هذه الحكمة العلوية إلى أحد أسرار ومفاتيح النجاح الاجتماعي، فإن أحد المخاطر التي تواجه المتصدي في حياته الاجتماعية، وفي الحالات التي يقع فيها الكثير من المصالح والتقاطعات، أنه يبدأ بالتدريج ومن حيث يشعر أو لا يشعر ونتيجة المماحكات والمماشات، يتحدث بغير ما يبطن، ويشعر بالتدريج أن هذه الخصلة صارت جزءاً من واقعه وشخصيته، وهي تتفاوت شدة وضعفاً بحسب اللقاءات والحديث والزمان والمكان. وحالة التلون هذه يمكن أن تجلب للإنسان فوائد آنية، فيشاهد الإنسان أن لديه المحبة والولاءات، ولكن حينما تنكشف الحقيقة يفقد المتصدي المصداقية، ويفقد أهم عنصر من عناصر التواصل. وتتحول حالة التلون عنده إلى نفاق، ويحاول المتصدي أن يبرر لنفسه هذا السلوك الخاطئ. وظاهرة التبرير هي خطوة غير صحيحة أيضاً، وهي مجرد محاولة فاشلة لتكون إطاراً وغطاء لهذه السلوكيات المنحرفة. ونحن المجلس الأعلى بحمد الله، يقال إن لديه رؤية واضحة وموقف واضحاً، ولديه الثبات على المواقف، كما أن لديه كياناً محترماً بين الكيانات، ولكن يؤخذ عليه هذا الأمر، إذ يلاحظ بين أوساطنا وجود هذه الظاهرة، وعندما توجد

٧٦ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى

بتاريخ ٢٠١١/٤/١٦ .

٧٧ . تحف العقول: ١١٥ .

مثل هذه الظاهرة على الآخرين توضيح ذلك، وتؤخذ نصيحتهم. وهذه الظاهرة توجد حالة من الإرباك في صفوف التشكيلات الداخلية، وتعيق المسارات الداخلية لعملنا. ولذا ينبغي طرح هذا الموضوع بلطف ومحبة، إذ يمكن أن نطرح بعض الملاحظات من خلال حركة وابتسامة بسيطة.



الفصل الثالث
توصيات
رسالية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سمات الحازم (٧٨)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أحزم الناس رأياً من أنجز وعده، ولم يؤخر عمل يومه لغده) (٧٩).

تحدد هذه الحكمة العلوية المقياس في الحزم والوضوح في الرؤية، وحينما يمتلك الإنسان الرؤية الواضحة ويكون حازماً في رأيه يحقق جميع النجاحات. وهذا الحزم، أن ينجز ما وعد، وحينما يتصدى للمسؤولية، لا يؤخر عمل يومه إلى غده، ويتميز بسرعة الانجاز وسرعة الحركة والمبادرة.

٧٨ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١١/٨/٢٣
٧٩ . عيون الحكم والمواعظ : ١١٤ .

الهمة والحمية^(٨٠)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (هموم الرجل على قدر همته، وغيرته على قدر حميته) ^(٨١).

في هذه الحكمة العلوية عقد مقارنة بين ما يحمله الرجل من همة وبين ما يقع به من هموم، ومقارنة بين ما يمتلكه من حمية وبين ما يستشعره من غيرة تجاه وطنه وشعبه وتجاه غاياته. فإذا وجدت هذه الغيرة نرجع لنرى أنفسنا هل نمتلك الغيرة والعمل تجاه مشرووعنا، فالإنسان المهموم يجد في نفسه غيرة تجاه عمله. نسأل الله أن نكون من ذوي الهمم العالية وأصحاب الغيرة العالية على بلدنا ومشرووعنا، وأن نعمل ونبذل الغالي والنفيس تجاه العمل.

٨٠ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٩/١١/٢٠١١.

٨١ . عيون الحكم والمواعظ : ٥١٤ .

التعامل بين المال والأخلاق^(٨٢)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء)^(٨٣).

تحدث هذه الحكمة العلوية عن أحد المفاتيح المهمة في التصدي والتعامل مع الناس في الإدارة، ومساعدة الناس بشيء حسن، وألا تبني العلاقة على أساس المصلحية المباشرة، لأن العلاقة مع الناس على أساس العطاء والمال والمصالح المباشرة لا يمكن أن تكون علاقة دائمة، وأن دوماً لا تستطيع جمع الناس بالأموال.

وتشير هذه الحكمة العلوية أيضاً إلى أهمية العلاقات الإنسانية وأهمية التواصل في كسب ودّ الآخرين، وفي توسيع الشبكة الاجتماعية. ومن يعتقد بأن المال هو المهم في التنظيم فهو مخطئ. ولكن الأساس هو الانطباع الطيب في لقاء ما والكلمة الطيبة.

إن ترسيخ وتأسيس التعاون والتعامل يتم من خلال التعاطف والتفاعل مع هموم الآخرين، وهذه هي أهم طريقة في الاستقطاب والتواصل.

٨٢ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/١/٣
٨٣ . بحار الأنوار ٦٨: ٣٨٤، ح ٢٢ .

شرف الهممة (٨٤)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أحسن الشيم شرف الهمم)^(٨٥). الشيمة هي حالة النخوة لدى الإنسان، وأحسن حالاتها أن يتصف الإنسان بالهممة العالية. نجد الكثير من الآيات القرآنية والروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام تؤكد على موضوع الهممة. فالإنسان في واقعه يعيش تقلبات عديدة وصعوداً ونزولاً، وتقدماً وتأخراً، ولكن ما يدفع الإنسان لاستثمار الفرص هو توفر الهممة العالية، وهذه الهممة تجعله قادراً على تحويل الفرصة إلى إنجاز حقيقي. فكم نحن بحاجة إلى الالتفات إلى وجود الهممة العالية فينا.

ولقد تعودنا أن نتصارع وندقق ونراجع ما نحن عليه الآن، فنتقدم ونتصر ونحتاج إلى المراجعة باستمرار والتدقيق وجلد الذات إذا احتجنا إلى ذلك. صحيح نحن في تقدم وإمكانات جيدة ولكن ليس بمستوى الطموح.

٨٤. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ

٢٠١٢/١/٣١

٨٥. عيون الحكم والمواعظ: ١١٨.

قبول النقد^(٨٦)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (احمد من يغلظ عليك ويعظك، لا من يزيك ويتملقك)^(٨٧).

يستعرض أمير المؤمنين عليه السلام في حكمته هذه أحد أسس النجاح في التصدي الاجتماعي، فعندما يتصدى الإنسان من الطبيعي أن يصيب وأن يخطئ، وهذه واحدة من أساسيات العمل، والإنسان عندما يكون مستغرقاً في العمل لا يمكن أن يشخص الثغرات، وإنما يكون التشخيص من المشاهد والمتابع.

ولذا علينا الالتزام بمبدأ التقبل والنقد والمصارحة من الآخر، ويكون ممن يستحق الشكر في منظومة العمل، والاطراء والشكر من مقومات النجاح في العمل.

والإنسان المتصدي إذا لم يستمع إلى الملاحظة الصحيحة فمعنى ذلك أنه سوف يندفع أكثر باتجاه الخطأ، وهذه خسارة للمفصل والمشروع. ولذا يجب أن تشيع في أوساطنا ثقافة الشكر على النصيحة.

٨٦ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/٢/٢١
٨٧ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢: ٢٥٨، ح ٢٦ .

(٨٨) الإخلاص

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن تخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الاجتهاد) (٨٩).

تشير هذه الحكمة العلوية إلى مبدأ آخر من مبادئ النجاح والتوفيق في التصدي للعمل الاجتماعي والسياسي، ومفادها أن الإخلاص هو من مفاتيح النجاح، وكلما اشتد الإخلاص لله تعالى، ازداد النجاح، ولولاه لما نجح العمل. والإخلاص له دور كبير في النجاحات.

وقد قرنت هذه الحكمة بين الإخلاص والتوكل على الله، وأشارت إلى وجود العنصر الغيبي في هذه النجاحات في هذه الدنيا. ونحن نقوم بهذه الأعمال بأفكارنا وجهدنا بينما تكثر أعمال الحاسدين والمنافسين والأعداء والرقباء، وحجم هذه المسائل كبير، والإنسان حين يلحظ هذه التعقيدات، يدرك صعوبة القول إن إمكاناتنا المادية هي التي تحقق هذا النجاح، بل توجد ألطاف إلهية، وإن أي إنجاز سيتحقق هو لطف من الله، وأن أي كبوة لا سمح الله هي في (الإخلاص)، والإنسان عندما يفتقد الحصانات والإخلاص سوف ينجر إلى الحالة النرجسية، وهي أن يحسب نفسه هو الذي يفهم، ويرى الناس همجاً رعاغاً، ويرى نفسه هو المسدد. ونرى هذه الحالة عند الطغاة والظالمين، وأخطر حالة يصل إليها الإنسان هي الحالة النرجسية.

٨٨ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/٣/٣١
٨٩ . تحف العقول: ٩٩ .

صيانة الأسرار (٩٠)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أحق الأسرار بالصيانة سرّك مع مولاك، وسره معك) (٩١).

تحدث هذه الحكمة العلوية عن جانب من التعليمات المهمة في علاقات العمل الحركي، فحينما يكون هناك مسؤول عنك يتحتم تداول الكثير من المعلومات، وكشف الكثير من الحقائق، فكلنا غير معصوم عن الخطأ، وربما يكون البعض منا في موقف غير موفق وغير مسدد، وهنا تأتي مسألة حفظ الأسرار في دائرة العمل. وهنا يذكر أمير المؤمنين عليه السلام أن أحق الأسرار بالصيانة وأخطر الأسرار وأكثرها ضرورة في الحفظ هي أسرار العمل.. فقد يتبادل البعض الأسرار والمعلومات مع عائلته وأصدقائه وبعض العاملين معه، وهذه من أخطر الأضرار التي تؤدي إلى إفشاء الأسرار.. وقد لا يستطيع شخص أحياناً كتمان أسرار العمل، وبالتدريج يوجد قناعة لدى الآخرين أنه ممن يفشي الأسرار، فيغضون النظر عنه. فنحن بحاجة ماسة إلى خلق ثقافة كتم الأسرار وعدم تداولها.

إن من الظواهر المرضية وغير الصحيحة عند البعض هو التدخل للاطلاع على القضايا السرية والمعلومات الممنوعة التداول. ونحن نحرص على عدم تداولها إلا عندما تقتضي الضرورة ذلك.

٩٠ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١١/٤/٢
٩١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢: ٢٤٥، ح ٦٦٦ .

وهناك اتهامات سهلة التداول، وسرعان ما تتحول إلى قضية تداول ويهتم بها البعض، في حين يجب أن تبقى هذه المسائل في الدوائر المغلقة. وينبغي التأكد من المعلومة والبناء على حسن الظن.

التركيز على العمل (٩٢)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أقصر همك على ما يلزمك، ولا تشتغل بما لا يعينك) (٩٣)

يشير أمير المؤمنين عليه السلام في حكمته العلوية هذه إلى سبب آخر من أسباب نجاح المتصدي في العمل الاجتماعي، وهو التركيز على العمل، فإن التعقيدات أكبر من أن تعالج من شخص واحد، والمهم هو التركيز، والمتصدي يتحرك في المساحة التي تعنيه والتي يعمل عليها ويتطور فيها، ويترك الأعمال التي لا تعنيه. وعند الانشغال في مهام الآخرين تتولد مشكلتان:

الأولى: انشغال المتصدي عن العمل المناط به.

الثانية: عدم قدرة المتصدي على إنجاز مهمته، وحصول إرباك للشخص الآخر المناط به ذلك العمل.

٩٢ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى

بتاريخ ٢٠١١/٤/٩

٩٣ . عيون الحكم والمواعظ : ٨٣ .

(٩٤) اغتنام الفرص

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (بادر الفرصة قبل أن تكون غصة) (٩٥).

تشير هذه الحكمة العلوية إلى سر آخر من أسرار ومفاتيح النجاح في التصدي للعمل السياسي. وهي استثمار الفرص التي تمر على الإنسان، فإنه إذا عرف قيمتها يمكن أن يحولها إلى إنجاز وانتصار ومكسب، ومع تعدد المكاسب تتحول إلى حالة تراكمية يبني عليها ويصعد. وأما إذا لم يستطع استثمار الفرص التي هي بطبيعتها تمر مر السحاب، فسيغرق الإنسان في الماضي، وينقطع عن حاضره ومستقبله، وهذه حالة لا تنفع الإنسان في حياته، فالحياة تتحرك كحركة النهر، فيسير الماء من تحت قدميه وهو لا يستطيع أن يستفيد منه. وشتان بين من يستثمر الفرصة وبين من يعيش في الماضي ويترك العمل المستقبلي. إنه منطوق اقتناص الفرص، ولذلك يجب علينا تشخيص مكانم الفرص وتحويل هذه الآفاق إلى إنجاز. وهذه خطوة أساسية تجعل الإنسان يواكب الحياة، والتنبه في حينها إلى استغلال الفرص يحتاج إلى رؤية واضحة، والذي يقدر على أن يتنبه سينطلق ويعيش الفرصة، ومن يخاف ويتردد لا يعمل ولا ينطلق (فاز باللذات من كان جسورا). نحتاج إلى تشخيص الفرص، وكيف نستثمرها ونعيشها، ونستفيد منها، حتى لا نعيش الغصة.

٩٤ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/٥/٢ .
٩٥ . نهج البلاغة ٣ : ٥٣ .

المؤمن بين الصلابة والذلّ (٩٦)

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (المؤمن نفسه أصلب من الصلد، وهو أذلّ من العبد) (٩٧).

تشير هذه الحكمة العلوية إلى حقيقة مهمة، وهي حقيقة توازن وتكامل الشخصية، وأنه يجب على الإنسان ألا تزحزحه العواصف ويكون كالصخر صلابة، وفي نفس الوقت يكون أكثر تواضعاً من العبد في سلوكه مع الآخرين. وكلما كان الإنسان في تعامله متواضعاً فسّر ذلك بضعف شخصيته. ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متواضعاً، يخفض جناحه للمؤمنين، ويعيش ذروة الترابية. نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الثقة العالية في النفس والعمل الصالح.

٩٦ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٨
٩٧ . عيون الحكم والمواعظ: ٢.

تقارن العلم والعمل (٩٨)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (العلم يرشدك، والعمل يبلغ بك الغاية) (٩٩).

تشير هذه الحكمة العلوية إلى كيفية تحقيق الأهداف والطموحات بواسطة العلم والعمل. والمقصود من قوله عليه السلام "العلم يرشدك": الرؤية والبرنامج؛ ليعرف الإنسان ما يريد وكيف يحقق ما يريد. فعلى الإنسان أن يحدد اتجاه البوصلة أولاً، ويشخص الغايات والأهداف التي يطمح إليها في الحياة. ثم تأتي الخطوة الثانية التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله "والعمل يبلغ بك الغاية"، أي أن التصدي والنزول إلى الميدان يحققان الغايات المشروعة. فمن يعمل من غير خطة ومن غير برنامج لا يحصل على ما يتمناه ولا يمكن أن يصل إلى الأهداف التي يتوخاها. وكم نحن بحاجة ماسة إلى استحضار هذه التعليمات في مسيرتنا الفتية.

٩٨. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ

٢٠١٢/١٠/٢٢

٩٩. عيون الحكم والمواعظ: ٦٣.

استشارة الشبان والشيخ (١٠٠)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إذا احتجت إلى المشورة في أمر قد طرأ عليك فاستبدئه ببداية الشبان، فإنهم أحد أذهاناً، وأسرع حدساً، ثم رده بعد ذلك إلى رأي الكهول والشيخ ليتقبوه ويحسنوا الاختيار له، فإن تجربتهم أكثر) (١٠١).

تضع هذه الحكمة العلوية خارطة طريق في إنضاج الرؤى والمشاريع، وذلك من خلال الاستفادة من المشورة، التي هي عرض الرأي على الآخرين لتمحيصه ومعرفة وجوهه. ولكن هناك فئتان من الناس يتفاوتون في تجاربهم وخبراتهم، وهما فئة الشيخ وفئة الشباب.

فكبار السن يمتلكون التجربة والخبرة ولكنهم بعيدون عن المجازفة، ودائماً تكون حركتهم في المساحة الرمادية. وأما الشباب فإن لديهم الطموح والحركة نحو العمل ولكن نسبة النجاح تكون ضعيفة. فيجب أن نستفيد من كلا الشريحتين. فنأخذ آراء الشباب أصحاب الطموح والحماسة ونعرضها على الشيخ وكبار السن، ليمحصوها حسب تجربتهم، وبذلك نكون قد استفدنا من جرأة الشباب وتجربة وآراء الشيخ.

١٠٠ . كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في الاجتماع الدوري لشورى مساعدي رئيس المجلس الاعلى بتاريخ ٢٠١١/٨/٣٠
١٠١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢: ٣٣٧، ح ٨٦٦.



الفصل الرابع
وصايا شهيد
المحراب قُدَّسَ شَهِ
للعاملين *

★ . القيت هذه الوصايا في ملتقى الثلاثاء للقيادات والنخب
المتقدمة في تيار شهيد المحراب قُدَّسَ الشَهِ

العمل للخدمة لا للسلطة

يقول شهيد المحراب عليه السلام: نحن عملنا إسلامي ورسالي، نحن لا نعمل للسلطة، نحن نعمل للخدمة، لهذا السبب يجب أن تكون الدوافع رسالية وإلهية، ويجب أن يكون العمل في سبيل الله، فأول شروط النجاح لمن يتصدى لمهمة رسالية هو أن يكون العمل لله تعالى، أي لتحقيق مرضاة الله، وهو معنى أن يكون في سبيل الله. ويجب أن يتبين ويتضح ويظهر هذا الدافع.

ويقول شهيد المحراب عليه السلام: هناك أربعة أركان للعمل الذي يقصد به وجه الله تعالى، وإذا تمت هذه الأربعة يصبح العمل لله، وإذا لم تتم فإن العمل ليس لله، وهي:

أولاً: أن يكون العمل فيه إخلاص لله سبحانه وتعالى واقعاً، أي أن نشعر من أعماقنا أن العمل لله. وفي التاسع من محرم كان العمل في العمق لله، وكنا نريد أن نقول نحن أقوياء، و"نحن" أي خط التشيع وخط الإسلام وخط المرجعية، ولو قلنا نحن تيار شهيد المحراب عليه السلام أقوياء لكان من الممكن أن يقال أين حصته في هذه القصة؟ هل هو الأساس أو نحن الأساس؟ وهنا فرق بين نحن الأولى ونحن الثانية، فالثانية تعكس الأنا الجماعية، التي ربما يشوب إخلاصها شيء من الأنانية، وأما الأولى فهي سحقت لهذه الأنانية، ولا يشوب إخلاصها شيء، وعندما نقول نحن، أي نحن في الله التي ترفع هذا الإخلاص، وهو أمر مهم في نياتنا وفي

أعمالنا. كما أن النتائج ترتبط بهذا الإخلاص، أي كلما كان العمل ينمو فإن معنى ذلك أن العمل كان لله؛ إذ ما كان لله ينمو. وبالإخلاص تذلل المشاكل، كل الأنواء الجوية الإقليمية والعالمية وليس العراقية فقط تقول بنزول مطر شديد وبرد قارص، في حين كان العراق كله مشمساً، وهوؤه لطيفاً. وكان خادمكم عمار أيضاً ينغمس في عرقه ويقول في قرارة نفسه: لماذا لم أرتد العباءة الصيفية فهي أفضل من التي أرتديها الآن؟ لقد كان الجو مشمساً، ما القصة؟ وما تفسيرها؟، ليس لها تفسير، قيل لي: إن الناس لن تخرج؛ لأن الشمس لن تطلع، وسيكون المطر غزيراً. فلماذا خرجت الناس! ولماذا طلعت الشمس؟!، إن معنى هذا الحماس أن هناك مخلصين لله قد خرجوا لإحياء شعائر أبي عبدالله الحسين عليه السلام، ولو كان إخلاصنا أكثر لكان الحاضرون ضعف العدد. لا يكفي أن يكون بعضنا مخلصاً، بل يجب أن نكون جميعاً مخلصين، وإن كان التوفيق قد يحصل لجماعة لوجود مخلص واحد فيهم، فنداء الإخلاص: من أجل عين ألف عين تكرم. فقد تنزل الرحمة لواحد في قوم فتشمل الرحمة جميع القوم من أجله.

إذن يجب أن نكون طموحين، وأن ينطلق كل واحد منا ينظم ويوجه وتصبح عنده رؤية، ويجب أيضاً أن يكون كل فرد منا مخلصاً لله عز وجل. وعندما تكون أعمالنا لله يصبح لكلامنا تأثير عجيب، ويكون الأجر والثواب أعظم، وتكون الآثار والنتائج أكبر، ويكون كمال الإنسان ورفقه أشد وأرفع، ويكون التأثير في الآخرين أكثر، سواء كان التأثير الروحي أو التأثير الوضعي، فهناك آثار وضعية لا نفهمها ولا نعرف ما تأثيراتها.

وهذه الآية التي استشهد بها دائماً دليل على ذلك: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ

أَلْحَيْطُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٢﴾. وهذه الناس لماذا تحب فلاناً وتصفق له مع أنه لا ينفق شيئاً، وتترك فلاناً مع أنه ينفق المليارات ويروج له إعلامياً؟! إن هذا يعني أن هناك جانباً من الأسباب بيدنا ويعتمد على مقدار ما نبذله من جهد، ولكن هناك جانباً آخر من الأسباب ليست بيد الإنسان، وهي من تدير الله تعالى، وإن الآثار الروحية والآثار الوضعية على الآخرين هي غير الآثار على أنفسنا. هكذا يكون تأثير الإخلاص. ثانياً: التقوى في الأداء، إذا كنت تريد أن تتأكد من أن هذا العمل هو لله تعالى أم لا، فيجب عليك أن تراجع نفسك وترى هل أنك تتقيد لله سبحانه في هذا العمل بالحدود الشرعية؟ فمثلاً نحن لدينا في التاسع من محرم مراسم خاصة، فنسرع بالسيارة من أجل الوصول إلى المكان في الوقت المناسب، فيجب علينا مراعاة الناس وتجنب إيذائهم، وما إلى ذلك من حدود شرعية في العمل، فهناك حدود لما يجوز وما لا يجوز. وفي عنوان التاسع من محرم لا بد من أن نتساءل عن الموازين الشرعية والأحكام الشرعية وشرعية العمل وأداء الوظيفة الشرعية. فهنا أربعة أمور ينبغي مراعاتها: أولاً: الالتزام بالحكم الشرعي. ثانياً: تقيد بالحدود الشرعية. ثالثاً: عدم ارتكاب ما يخالف ما أمر الله به. رابعاً: عدم ارتكاب ما يخالف أمر الله في العمل أو في مقدماته. وهنا أيضاً أود الإشارة إلى أن شرعية الغايات لا تبرر الوسائل، فيجب أن تكون الوسائل من جنس الغايات، فإذا كانت الغايات إلهية، يجب أن تتم بوسائل إلهية، من خلال مراعاة الحلال والحرام حتى يكون العمل في سبيل الله.

ثالثاً: الالتزام بالضوابط والتعليمات ومقررات العمل المؤسسي. كما لو وضعت ضوابط معينة لبدء الدوام في الساعة الفلانية، والخروج في

الساعة الفلانية، وحمل الباج الفلاني... وهكذا. والضوابط والمقررات المؤسسية هذه جزء من كون العمل في سبيل الله. وأما لماذا العمل بالضوابط ركن مقوم للعمل في سبيل الله؛ فلأنه مؤتمن في هذا العمل، وأي مخالفة لهذه التعليمات هي مخالفة للاستئمان، ولأنك قبلت العمل بهذه الشروط والضوابط فإن تجاوزها يعتبر سوء تقدير في حفظ هذه الأمانة، ولا نريد التعبير بأنه خان الأمانة، فالنتيجة واحدة ولكم حق التسمية فيها. فأنت أيها المسؤول عندما وضعتك هنا بهذه الشروط، فعندما تخالف هذه الأمانة فهذا يعني أنك خنت الأمانة. انظروا إلى هذه النقطة وإلى قدر العمق الموجود في هذه الرؤية.

رابعاً: التوكل في العمل على الله سبحانه وتعالى. فالعمل لله يستمد قوته من التوكل عليه سبحانه في أداء العمل وفي استمراره. فالتوكل ليس فقط في إيجاد العمل، بل في إدامة العمل أيضاً، ففي كل خطوة يجب أن تبقى متوكلاً على الله تعالى، وذلك بالتوجه إليه وطلب المعونة منه. جاءني مرة أحد مسؤولي التنظيم وقال: إن (س) بدأ بتنظيم المنطقة، والآن نريد من ﷺ أن يكمل التنظيم بدلاً منه. عندما بدأ التنظيم كان التوكل على الله، وبعد أن وجد التنظيم نسينا الله، ونحن بحاجة إلى التوكل على الله تعالى في تأسيس العمل وفي ديمومته واستمراره. وهذا التوكل يفيد في أمور:

منها: التوفيق في اختيار الشخص المناسب في المكان المناسب. فأنت لا تستطيع أن تقيّم الناس وتختار؛ مثلاً مشروع التاسع من محرم، كيف اخترناه؟ في يوم ما فكر فيها عزيز العراق. وهناك الكثير من مشاريعنا تبدأ بفكرة تطرح، كفكرة هذا التنظيم من جعلها في البنا، وعمرنا لم

نعمل في تنظيم، من قال كيف أتت؟ وما قصتها؟ هناك من يقول أنا فكرت وقررت، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي يوفق الإنسان في قرار صحيح وفي كلمة صحيحة يمكن أن تغير مسار العالم. ومثال ذلك موقف الحر الرياحي في يوم عاشوراء عندما ترك صفوف الجيش الأموي وانضم إلى سيد الشهداء (عليه السلام)، مع أنه رجل عاش حياته كلها في بلاط السلاطين والأمراء ويقا تل تحت راية الأمويين. وفي مقابله شمر بن ذي الجوشن الذي قضى سنوات من حياته يقاتل مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبعد ذلك انقلب على عقبه وخسر التوفيق الإلهي الذي لا يناله الإنسان اعتباطاً، وهكذا فقد التوكل في ديمومة العمل واستمراره.

ومنها: الأداء الحسن، فهناك كلمة تقولها مرتين، مرة تؤثر، ومرة لا تؤثر، كنفخة على جمرة لتوقدها ونفخة على شمعة لتطفئها؛ ففي المرة الأولى لم يلتفت أحد إليها، وفي المرة الأخرى كان هناك من يلتفت. لماذا؟ وكيف؟ لا ندري، وهذا هو التوكل على الله تبارك وتعالى.

التخطيط للوقت

الوصية الثانية لشهيد المحراب (عليه السلام) للعاملين هي أن يكون لديهم برنامج يومي، وبرنامج اسبوعي، وبرنامج شهري، وبرنامج سنوي. ولكن مع الاسف أن حياتنا خالية من أي برنامج، وتضيع أوقاتنا هباءً منثوراً، ولا نحس بالمسؤولية تجاه أعمارنا، مع أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن ثلاثة أشياء، أحدها عن عمره فيم أفناه؟ ألا يجب أن يكون لدينا برنامج يستوعب كامل أوقاتنا.

وكان شهيد المحراب عليه السلام يحرص في توصيته هذه أن يكون لكل واحد منا برنامج مستوعب لكامل وقته. والأمر الذي رأيت منه، وقد أوصاني به أيضاً، هو أن أضع في اليوم الواحد برنامجاً ليوم ونصف اليوم؛ خوفاً من أن يأتي شخص الآن، أو خوفاً من أن يلغى أحد اللقاءات، أو خوفاً من الازدحام، أو أي طارئٍ آخر. والحكمة في أن يكون لدينا برنامج ليوم ونصف في اليوم الواحد هو أن نستفرغ جهدنا في استثمار أوقاتنا لثلاث تضيع دقيقة هدرًا، فمهما سعينا لا نستطيع إكماله، وبالتالي نرى أنه لا يوجد لدينا وقت فراغ.

إذن ما كان يوصي به شهيد المحراب عليه السلام العاملين هو أن يكون لديهم برنامج يستوعب كامل أوقاتهم.

وأما فقرات هذا البرنامج وتقسيم الأوقات فيه فينبغي أن تكون كالتالي: الحصة الأولى: النشاط العملي، كل واحد منا لديه مهام في هذا المشروع الرسالي، ويجب أن يعطي حق هذا العمل المكلف به والمهمة المناطة به، ولا يقولن: لم استطع اليوم إكمال عملي لأنشغالي بأمرٍ آخر، وعليه إنجاز عمله المكلف به أولاً ثم يأتي بالأعمال الأخرى، فأنت مكلف بمهمة في هذا المشروع، وهذا مشروع متنوع المهام، ويحمل كل واحد منا على عاتقه جانباً منه، فهو مثل قطعة كبيرة من القماش وعليها ذهب أو ألماس الذي هو مشروعنا الرسالي، فإن أنزل أحدنا يده فسيقع الذهب ويضيع جزء منه، هذا بمجموعه يمثل الحصيلة المتكاملة لذلك العمل. فيجب إنجاز المهام المناطة به أولاً ثم إنجاز الأعمال الأخرى، وهذه مسألة مهمة.

وهناك مسألة مهمة أخرى وهي أن مهمتنا لا تنحصر في القيام بما كلفنا به، بل يجب أيضاً أن نرجع ونقيّم أعمالنا. ويجب أن نعلم أن هناك بعض الأعمال تقيّم يومياً، وبعضها يقيّم أسبوعياً، وبعضها شهرياً، وبعضها

سنوياً، والتقييم يعني المراجعة والمشورة والتأكد من صحة العمل. ويجب أن تقع هذه كلها في الأوقات المخصصة لها ضمن البرنامج. ولا ينبغي أن نجهد أنفسنا في العمل فقط، من غير أن تكون لدينا محطات للمراجعة والتقييم، فنقضي مثلاً ستة أشهر في العمل الدؤوب ثم ننتبه لأنفسنا ونقول لو كنا فكرنا بهذا العمل منذ الأسبوع الأول لأبجزناه منذ الشهر الأول ولكسبنا الخمسة أشهر الأخرى وعالجنا الثغرة الموجودة. ولهذا علينا التخطيط المتقن والتقييم المستمر وأخذ الملاحظات من الآخرين ومراجعة العمل وتأثيراته. فليس المهم ماذا قلت أنا، بل المهم ماذا سمع الآخر، وليس المهم ما هو قصدي، بل المهم ماذا تلقى الآخر، وليس المهم أنه مفيد من وجهة نظري، بل المهم ما هو تآثر المستمع به، سواء كان حديثاً أو موقفاً أو سلوكاً.

وهناك مسألة ثالثة مهمة وهي كتابة التقارير، واعتبارها ضمن العمل. وهو أن نكتب مطالعة عن العمل، ما الذي أبجزنا من العمل، وما الذي لم نستطع إنجازه. ولا ينبغي أن نتعاس عن أداء هذا العمل بذريعة أن الله تبارك وتعالى يعلم بحركاتنا وسكناتنا. إننا من ضمن عمل مؤسسي، وهناك مسؤول عنك يجب أن يعلم ماذا أبجزت من العمل المطلوب منك، ومقدار ما أبجزت منه، وكم هي نسبة النجاح، وما المعوقات، وكيف يمكن علاجها، وهذا جميعه يتطلب أن نعرف ماذا جرى.

وكتابة المطالعة أو التقرير تقع ضمن الواجبات التي ترتبط بوقت العمل، فإن أصل العمل، وتقييم العمل، وأخذ الملاحظات عن العمل، وتطوير العمل، وكتابة تقارير عن العمل، تقع ضمن وقت العمل. الحصة الثانية: العبادة، وينبغي لنا المبادرة إلى الصلاة في أول وقتها،

وعدم الانشغال عنها بأي عمل آخر، اللهم إلا إذا كان هناك ظرف طارئ يقتضي تأخيرها عن أول وقتها، وهو نادر الوقوع عادة، وإن جاز تأخيرها إلى آخر وقتها لغير عذر. ولكن المبادرة إليها أمر مرغوب في الإسلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (١٠٣).

ماذا يعني أن يعتذر المؤمن عن المبادرة إلى الصلاة بحجة أنه مشغول في إعداد البرنامج الفلاني مثلاً الذي فيه تقرب لله عز وجل! مع أنك تارك للأمر الإلهي في المبادرة إلى الصلاة لكي تشتغل بشيء آخر بدعوى أنه لله، فتركت الواجب الذي فيه توقيت معين وانشغلت بعمل آخر يمكن أن تأتي به في أي وقت آخر! أليس في مقدورك أن تصلي أولاً ثم ترجع إلى ذلك العمل فتكمله؟! وأود أن أنقل لكم تجربتي الشخصية في كيفية المحافظة على الصلاة في أول وقتها، فمنذ وقت ألزمت نفسي بصلاة الجماعة، فإذا كنت في اجتماع فمن السهل أن أقول حان وقت الصلاة، لأنني استطيت الاعتذار عن مواصلة الاجتماع مادامت هناك صلاة جماعة، فأقول: تفضل نصلي وبعد ذلك نكمل الحديث، وإذا كنت لا تريد الصلاة جماعة فاجلس هنا حتى اكمل صلاتي ثم أرجع إليك. وأما سابقاً فقد كان من الصعب أن اعتذر مادامت الصلاة فرادى لأنني أستطيع أداءها في وقت آخر. وأنا الآن مرتاح لأنني استطعت أن أضبط وقت الصلاة وأداءها في أول وقتها، بالإضافة إلى صلاة الجماعة وهذا الدعاء وهذه الدفعة هي فرصة للاستزادة من الثواب.

إن إلزام أنفسنا بالعبادة من الواجبات، وإذا كان لها وقت فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل مصلحة في هذا الوقت، فيجب أن نلتزم به. والصلاة في أول وقتها خفيفة ومريحة ومؤثرة، وكلما تأخرت كانت أثقل، وفي آخر

وقتها تصير أثقل من جبل أبي قبيس، وحينئذ كيف يتسنى لنا أن نكمل الواجبات ونأتي بالمستحبات! والمستحبات كالمح في الطعام، فالإنسان لا يتقوت على الملح، بل يتقوت على الطعام، ولكن الطعام الذي ليس فيه ملح يفقد طعمه، ويعطونه في المستشفيات للمرضى كدواء، والطعام هو نفس الطعام ولكن عندما تضع عليه قليلاً من الملح يصير لذيذاً، وهكذا تكون فوائد المستحبات.

وكان شهيد المحراب عليه السلام نتيجة مراجعته للروايات وتجاربه الشخصية يؤكد على العديد من النوافل، كنافلة المغرب ونافلة الفجر ونافلة الليل، فهناك تأكيد على هذه النوافل بشكل خاص. كما ورد التأكيد على صلاة الجماعة، وهي تبدأ من نفرين ولا تقف عند عدد ما. ويستطيع كل واحد منا أداء صلاة الجماعة في بيته مع عائلته مثلاً، أو في محل عمله.. وهكذا.

وهناك أمور أخرى ممكنة التحقق أيضاً كبعض الأذكار اليومية، فكل واحد منا يقضي بعض الوقت في السيارة أو في أماكن أخرى ويستطيع أن يذكر الله ببعض الأذكار، كسبحان الله، الحمد لله، اللهم صل على محمد وآل محمد، وغيرها من الأذكار، وهذه كلها تعطي للروح رقة وصفاء وتطهر القلب وتحمي الإنسان.

ومن الأمور الأخرى المهمة جداً أيضاً هي الالتزام ببعض الشعائر الدينية، والمشاركة في المجالس الحسينية والهيئات الحسينية. وقد يرغب الإنسان في أن يخلو لوحده ويستمتع إلى قراءة عزاء الإمام الحسين عليه السلام من خلال المذياع أو التلفاز أو المسجل، ولكن هذا لا يمنع من حضور المجالس الحسينية التي تمتاز بنكهة خاصة وتشملها الرعاية

الإلهية وفوائد جمة أخرى لا تحصى، مع أن المطلوب منا هو إحياء الشعائر، وهو لا يتم إلا مع الاجتماع، كما أن تعظيم الشعائر يمثل جانباً معيناً في النظرية الإسلامية في الحياة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (١٠٤)، وعندما يأتي الإنسان بهذه الأعمال يكتمل جانب من شخصيته أيضاً.

فالمطلوب هو المشاركة في هذه المجالس، والحذر من مكائد الشيطان وخذعه في عدم الحضور بذرائع مختلفة، كالاستماع إلى الخطيب الفلاني من الفضائية، أو متابعة الخطباء الجيدين فقط، أو الاصغاء للشيخ الوائلي من المسجل..إلى آخر قائمة الأعداء. ولكن نفس الحضور والاجتماع مع المؤمنين للبكاء على مصاب سيد الشهداء ﷺ فيه بركات عظيمة، وآثار وضعية كثيرة، وتأثيرات جسيمة، وفوائد نفسية وشخصية واجتماعية لا تحصى.

الحصة الثالثة: الراحة، وهو أمر مهم ينبغي أن يوضع ضمن البرنامج، فيحدد مقدار ما ننام من الساعات، والوقت الذي ننام فيه، من الساعة الفلانية مثلاً إلى الساعة الفلانية. ويجب أن يكون الوقت المخصص للراحة كافياً لحاجة البدن لإعادة نشاطه وقوته وحيويته.

إن وضع برنامج بهذا الشكل وبهذا التوزيع يطيل في الوقت، ويجعل فيه الكثير من البركة، ويدعنا نستفيد من أوقاتنا بنحو أفضل، ويساعدنا على إنجاز أعمالنا بشكل أسرع.

المرونة في التطبيق :

وينبغي الالتفات إلى أمر مهم في البرنامج الموضوع لتنظيم الوقت ألا وهو المرونة في تطبيق البرنامج، بحيث يستطيع الإنسان تغيير بعض فقراته لسبب طارئ معين أو لتحقيق استفادة أكبر من الوقت، لئلا تفوته بعض الفرص التي يجب المبادرة إليها والاستفادة منها؛ فإنها تمر مع السحاب الذي لا يعود ثانية، وإنما يلقي بما يحمل من بركات في مكان آخر.

وهذا البرنامج يجعل الإنسان مصداقاً لدعاء أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في دعائه المشهور بدعاء كميل: "اللهم اجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، حتى تكون أعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً، وحالي في خدمتك سرمداً".

ما معنى أن تكون الأعمال كلها ورداً واحداً؟ فهناك صلاة وهناك نوم وهناك عمل، فكيف يمكن أن تكون كلها ورداً واحداً؟ وما يكون الهدف الأول، هل هي الراحة لكي أتقوى على طاعة الله؟ أو هو الأكل حتى أتقوى على رعاية العائلة والأولاد؟ من المؤكد أن واجبنا الأساسي في الحياة هو العبادة، ولكي نستطيع السير في عبادة الله تبارك وتعالى فلا بد من توفر الراحة والطعام والمأوى واللباس للنفس والعيال، وهذه جميعاً تعتبر عبادة؛ لأنها مقدمة للعبادة، ومقدمة الواجب واجبة، ومقدمة العبادة عبادة، هذا هو منطق الإسلام.

التزود المعرفي :

ثم يشير شهيد المحراب رحمته إلى ضرورة أن يكون ضمن البرنامج

وقت للتزود المعرفي، بأن يخصص وقتاً معيناً للمطالعة، فإن الإنسان بحاجة مستمرة إلى التزود بالمعرفة، ولا ينبغي أن يقتصر على مطالعته السابقة، بل يجب أن يجدد معلوماته ومعارفه في هذا العصر الذي يسمى بعصر انفجار المعلومات، وخاصة بعد تطور الأدوات المعرفية. ولكن يجب الالتفات إلى مسألة مهمة وهي ألا يكتفى بالمطالعة المبعثرة من هنا وهناك، أو الاقتصار على مطالعة الصحف والمجلات والدوريات الثقافية، أو الركون إلى متابعة بعض البرامج العلمية والثقافية من خلال بعض الفضائيات، بل لابد من المطالعة المنهجية وفقاً لبرنامج خاص لكي يستطيع سد النقص في حقل من حقول المعرفة التي يحتاج إليها في أمر دينه أو دنياه.

الحرص على التنفيذ :

والقضية الأخرى التي يلفت الانتباه إليها شهيد المحراب عليه السلام هي الحرص على إنجاز العمل بحسب ما هو مخطط له من غير تأخير أو تأجيل. وهذا الانضباط في التنفيذ أمر مهم. وقد كنت أحياناً أشاهد شهيد المحراب عليه السلام متعباً آخر الليل، ولكنه كان حريصاً على إكمال قراءة الصحيفة ويقول هذا ضمن البرنامج. وكان يواظب على إتمام جميع فقرات البرنامج وإن كان متعباً آخر الليل أو مرهقاً، ولا يتركها للغد مثلاً. لقد كانت هذه دروساً في الحياة وفي بناء شخصية الإنسان. والسلام عليكم ورحمة الله .

سعة الصدر

يجب أن يتصف المتصدي بسعة الصدر، والتصدي للمسؤولية يحتاج إلى أفق واسع، ويحتاج إلى صبر وتحمل، ويحتاج إلى انسجام مع الآخرين.

يقول شهيد المحراب رحمه الله: يعتبر العمل الاسلامي عملاً جماعياً. وربما يقول قائل: أنا لذي موقع في الانترنت في المنزل، وانزل عليه معلومات يستفيد منها الناس، وهذا عمل غير جماعي. والجواب إن هذه حالات خاصة ونادرة، ونعني بالعمل، العمل مع الآخرين. ومادام العمل جماعياً، والجماعة متعددة الأمزجة ومختلفة السلوك والأطوار، فقد يوجد في اطار الأسرة الواحدة اثنان من الأولاد أحدهما عصبي والآخر هادئ، أو أحدهما عجول والآخر بطيء، وهي حالة طبيعية تُرى في الأسرة، وكلما توسعت الدائرة توسعت هذه الأمزجة، فكل شخص عنده طريقة خاصة في وضعه. والذي يريد أن يتصدى لعمل عام يجب أن تكون لديه القدرة على تمييز الناس، فيعرف كيف يتعامل مع العصبي، حتى لا يزيد في عصبيته، وكيف يعطي الهادئ جرعة حتى يحركه.. وهكذا. وهذا أمر واقع، فالأمزجة المتقاطعة والمختلفة كانت منذ زمن رسول الله ﷺ وستبقى إلى يوم قيام الساعة مادام هناك بشر، ولا تتصور أنها تغيب في مكان، من مكاتب المراجع إلى أعضاء شركة واحدة، وإلى أربعة سجناء في زنزانية. فيتنافسون حول قضايا معينة ويختلفون ويتفقون. وعلى من يريد أن يتصدى ألا يقول منذ البداية هذا طويل وهذا قصير، وهذا كذا وذاك كذا، فلا يبقى معه أحد، وهو أيضاً يترك العمل بعدها. فلا بد من تحمل الآخرين

واستيعابهم وتحمل منغصاتهم والصبر على أذاهم. وهذا هو السبب الوحيد والطريق الوحيد لنجاح العمل، والسبيل الوحيد للمتصدي في أمر من الأمور.

ثم يضع شهيد المحراب عليه السلام معياراً فيقول: إن هذا التباين في الأمزجة يصل أحياناً إلى فعل الحرام أو ترك الواجب. ولذا يجب أن يصل تحملنا إلى هذا المستوى. نعم إذا وقع في ترك واجب أو فعل حرام، فهذا مزاجه أن يسمع اغنية، وذاك مزاجه أن يصلي، فلا مشكلة ويجب التحمل، ولكنه استيعاب وتحمل بشرط عدم جر المتصدي إلى الوقوع في الحرام، فإن استيعاب شخص واقع في الحرام قد يوقعه أحياناً في الحرام، إذ من المحتمل أن يتحمل قليلاً إلى أن يقترب منه أكثر ويسحبه من الحرام، وأما أن يقع هو في الحرام فنقول: نحن نتصدي لعمل إسلامي أو لعمل معين، وننصح الناس بالابتعاد عن الدور والأماكن المحرمة. وربما يقول البعض: دعونا نذهب معهم ومن ثم نصلحهم! نقول له: كلا أنت أصبحت واحداً منهم. والواجب علينا هو استيعاب من لم يصل إلى ترك الواجب والوقوع في الحرام، وهذه هي حدود الاستيعاب.

وحينما قرأت هذه الوصية لشهيد المحراب عليه السلام تفاجأت، إذ لم أكن أظن أن الاستيعاب وتحمل الآخر يمتدان إلى هذه الحدود الخطيرة. وهذا الاستيعاب أمر مهم، ومن عايش شهيد المحراب عليه السلام يعرف أنه كان قمة في الاستيعاب، وكان مذهلاً، تهتز الجبال أحياناً وهو لا يهتز. وحينما نرى بعض المشاكل التي كان يقع فيها وكان يتحمل، كنا نظن أنه يحرك مشاعرنا لنقتدي به، ولكنه كان يصبر ويتحمل ويصمد ويثبت، وما كان يستطيع أن يصبر تيار عميق وأصيل كهذا في الأمة لولا ذلك الصبر والاستيعاب الذي كان يتمتع به. وأود التركيز على هذا الجانب لأن

إحدى مشاكل التنظيم أن كل خطوة يقوم بها الإنسان فيها إيجابيات وسلبيات، فالتنظيم فيه إيجابيات كبيرة ولكن فيه سلبيات يضيق منها صدر الإنسان. وهذا الانطباع ليس من أصدقائنا، بل أرى الجو العام الذي يختلف معنا بأمور بسيطة، تكون ردة الفعل مباشرة شتائم وسبابا. ولذا يجب علينا أن نستوعب ونناقش ونحترم الرأي الآخر ونبحث عن المساحات المشتركة، ونعتبر هذه قسما من الهوية والولاء، فالولاء الصحيح والهوية الصادقة أن نتصر بقوة المنطق لمشروعنا، وليس بقوة الاتهام للآخر، ترون البعض يعيشون في غرفة واحدة وكل يضحك بوجه صاحبه، ولكنهم متنازعون في الداخل، وكل يريد أن يتصارع مع الآخر. وهذا وصف لما يحدث في أضيقت دوائر المتدينين، وكل منهم ينتصر للمذهب والدين والمبدئية، وكلما روضنا أنفسنا وتعاملنا مع الآخر، توسع ظرفنا وأصبحت فضاءاتنا رحيمة وكان مشروعنا أوسع وذهب إلى المساحات الأكبر والأوسع، واستطعنا أن نستوعب الآخرين. وهذا أمر مهم في ظرف التنظيم الذي نعيشه. وأكتفي بهذا المقدار، واعتذر عن الإطالة.

التعامل باللين

التعامل مع الآخرين باللين والرحمة والمودة والمداراة، مع الحزم في الموقف، والعزم في الإرادة والقرار والتنفيذ، كما ورد في قوله تعالى لنبيه الأكرم: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَا تَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٠٥).

ومن هذه الرحمة واللين والمداراة تقديم النصيحة بلطف لإخوانه المسئولين عنه، عندما يرى بعض الأخطاء، أو ينبه إلى بعض الاقتراحات التي تطور العمل.

وكذلك الحال تجاه العاملين معه، فبدلاً من النقد والتشهير، أو الزجر والأوامر الصارمة، تقدم النصيحة بلطف وتعطي فرصة للتطوير.

الاحتراف في العمل

سمات الاحتراف

هناك ثلاث سمات للعمل المحترف:

- أولاً: أن يكون الاحتراف بعلم وخبرة وتراكم تجربة، ويستند إلى معرفة حقيقية في المساحة التي يتخصص فيها المحترف ويعمل فيها. فيجب أن يكون هناك تعلم ودورات يتلقاها العامل في سبيل الله في مجال اختصاصه؛ حتى يلم بأكثر الأدوات وأساليب العمل تطوراً في عمله. ولا تكفي مجرد نية القربة إلى الله تبارك وتعالى وأن يكون العمل إلهياً وأن يكون المسار رسالياً، بل لا بد من أن يكتسب مثل هذا الإنسان الخبرة وتتراكم عنده المعرفة في مجال اختصاصه.

- ثانياً: الوقوف عند تجارب الآخرين. يقول البعض إن الغربيين أناس غير جيدين، ولذا لا ينبغي أن نتعامل معهم. والصحيح أننا لا علاقة لنا بعقيدتهم، ولكن أهلاً بهم في مجال خبرتهم في إدارة مؤسساتهم، وفي نضالهم من أجل التقدم العلمي والتقني، ولا يضرنا أن نختلف

معهم في عقائدهم وفي مواقفهم السياسية، إذ يمكننا أن نأخذ إيجابياتهم ونترك سلبياتهم. وقد كان شهيد المحراب عليه السلام يدعو إلى الاطلاع على تجارب الآخرين والاستفادة منها، كل في حقل اختصاصه، فنأخذ ما ينفعنا ونترك ما يضرنا، ولا ينبغي أن نبقى أسرى للأسماء، فهذا أمر غير جيد، وندع الفكر والعلم كله بسبب ذلك، ولعل هناك فكرة جيدة وكلمة صحيحة نأخذها منه.

ثالثاً: الاهتمام بالمضمون الثقافي والسياسي. قد يقول البعض: أنا عامل في سبيل الله وملتصّد، ولكن ليس لي علاقة بهذه القضية أو تلك؛ لأنها ليس لها علاقة بمجال عملي ومساحة اختصاصي. وهو كلام غير صحيح، فما دمت متصدياً في عمل إسلامي فإنه مهما كان اختصاصك يجب أن يكون عندك فهم ثقافي وفهم سياسي، ويجب أن يعمم هذا الكلام لكل العاملين والمتصدين. فمثلاً من كان عمله منضد حروف على الكمبيوتر في مشروع إسلامي، وكانت وظيفته أن يكتب كتباً رسمية، يجب أن يكون عنده فهم ثقافي وفهم سياسي أيضاً، وعليه أن يبرز هذا الفهم ويعطي رسالته السياسية حتى وهو ينضد في دائرة حكومية. وهذه قاعدة عامة في المتصدي للمشروع الرسالي الإسلامي، وهي أنه يجب أن يكون لديه فهم ثقافي وفهم سياسي.

وقد يعتذر البعض بأننا أتينا بهؤلاء الإخوة بسبب اختصاصهم في عمل ما، وأن ثقافتهم الإسلامية ضعيفة. ولا مشكلة في ذلك، ولكن يجب أن تكون عنده ثقافة إسلامية صحيحة، فهي ستهبه دوافع إلهية للعمل، وستمنحه حرصاً أكبر، وستضمن له ولاء أعمق واندفاعاً

أكثر، وسيحقق إنتاجاً أفضل حتى في مجال اختصاصه. وهذا الكلام بالنسبة إلى العاملين من ذوي الاختصاص في مشروعاتنا الرسالية، كالمقاول والبناء والمهندس، يجب أن تكون لديهم ثقافة إسلامية، وانظروا كيف ستتحسن أعمالهم في مجال اختصاصهم.

إن الثقافة الإسلامية والثقافة السياسية من الأمور الأساسية المطلوبة في العاملين، يقول شهيد المحراب رحمته الله في هذه النقطة: على العامل أن يتحاور ويتداول في معارفه الثقافية والسياسية، فإن من الشروط الأساسية في عملية الاحتراف هي أن يكون المحترف صاحب ثقافة، ولا تأتي الثقافة إلا عن طريق الحوار، وعندما يتبنى أشخاصاً يوافقونه وأشخاصاً يعارضونه وأشخاصاً يناقشونه، يضطر إلى تعميق الفهم أكثر بالمبادئ التي يؤمن بها ويتكلم بها. ولكي يتمكن من أن يناقش الآخرين ويحاورهم يجب عليه أن يقرأ أكثر لتزاد معرفته فيدافع عن قضيته ويتناقش فيها، وتكون النتيجة أنه سيستفيد أكثر، وقد ورد في حكم أمير المؤمنين عليه السلام «أن "زكاة العلم نشره"» (١٠٦)، أي أن علم الإنسان ينمو ويزداد بالتحدث به وبيانه. كما أن قناعته في الموضوع ستزداد رسوخاً، ويتجذر أكثر في عقله وفي فكره من خلال هذا التداول والبيان والنشر.

ويقول شهيد المحراب رحمته الله : ويتأكد هذا الحوار وأهميته عندما يكون الإنسان في ساحة يتواجد فيها المنافقون والمعادون والمرجفون، أو في الأقل يتواجد فيها غرباء عن هذا الفكر كالمحايد الذي ليس لديه موقف. فقد يتعرض الإنسان للسؤال عن رأيه في الموضوع الفلاني، أو عن موقفه من القضية الفلانية، فهنا يجب أن يجيب ويشرح ويوضح،
 ١٠٦ . غرر الحكم ودرر الكلم : ٤٢٤ . مستدرک الوسائل ٧ : ٤٦ ، ح ٦ .

ليلجم المنافق أو المعادي الذي يحدّد الناس ليغرر بهم، ويعرّف الغريب موقفه ليلمسك به أو يصحح له إذا كانت عنده وجهة نظر خاطئة. إذن الاحتراف شرط أساسي من شروط التصدي بهذه السمات الثلاث التي يذكرها شهيد المحراب عليه السلام.

القدوة

يقول شهيد المحراب عليه السلام: يجب على المتصدي أن يكون قدوة في سلوكه الأخلاقي، وفي سلوكه الاجتماعي. ويتجلى البعد الشخصي الأخلاقي للمتصدي في حركته وصدقه والتزامه. ويتجلى البعد الاجتماعي للمتصدي في التعاطي مع الآخرين، فيكون قدوة تتعلم منه الناس، عندما تضعه قدوة لها في حركته وفي مساراته، ويود الآخرون أن يكونوا مثله. ويجب على المتصدي أن يضع لنفسه مسارات وسلوكاً في الجانب الأخلاقي والاجتماعي، فإن الآخرين لم يجعلوه قدوة لمجرد الادّعاء، وليست هي كالرئاسة بالمجمل والتعيين أو الانتخاب أو ماشابه ذلك، فالقدوة ليس منصباً يجعل ويوضع، فيقال جعلنا فلاناً قدوة لكم، ولا يستطيع أحد أن يجعله. فمفهوم الاقتداء يعني أن ينجذب الآخرون له عندما يشاهدون أخلاقه وسلوكه وتعامله وعلاقاته وإدارته للأمور فيقتدون به ويسيرون خلفه.

ويشير شهيد المحراب عليه السلام في هذا الشرط إلى عنوانين أساسيين:

أولاً: لماذا يجب أن يكون المتصدي قدوة؟

وثانياً: ما الصفات التي تجعل الإنسان في موضع القدوة؟

يذكر شهيد المحراب عليه السلام ثلاث نقاط في الإجابة على السؤال الأول:

الأولى: إن القدوة هي من أهم الأساليب في التكامل الإنساني، فالإنسان الذي يريد أن يتكامل ذاتياً وأخلاقياً وعملياً يجب أن يضع نفسه في موقع عمل الآخرين الذين يقتدون به، فيسأل نفسه: كيف أبجز العمل الفلاني؟ هل هو مقبول مني وأنا في الواجهة؟ ولذلك قد يتنكر البعض عندما يذهب في سفرة شخصية إلى مكان لا يعرفه فيه أحد، فيأخذ راحته أكثر؛ لأنه يتقيد في بيئته التي يعرفونه فيها ويحرم نفسه من كثير من المباحات. ويصنع البعض ذلك لأنه يرى نفسه في موقع القدوة، فيراقب نفسه على الكلمة التي يتفوه بها، وعلى التصرف الذي يتعامل به.

وهكذا تتحول حالة القدوة للمتصدي لتكون أسلوباً من أساليب البناء الذاتي للإنسان الذي يريد أن يكون قدوة.

الثانية: إن القدوة هي من أهم أساليب التأثير في الآخرين. فالأوامر والنواهي العسكرية لا تبني مجتمعا، بل القدوة من موقعه، وبسلوكه وأدائه عندما يشاهده الآخرون يغبطونه ويتمنون أن يكونوا مثله، ويقولون فلنتعلم منه ولنصبح مثله في حركته ومسارته وتعامله وإدارته للأمور.

الإنسان القدوة إنسان مميّز، والكل يحبون التميّز. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "كونوا لنا دعاة صامتين" ^(١٠٧)، و"كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم" ^(١٠٨). وعندما يصبح الإنسان قدوة ستسير الناس على خطاه، وتحاول أن تتعلم منه. وهذا الأسلوب هو الأسلوب المهم بالتأثير في الناس. فالإنسان القدوة يصرخ في الناس: أيها الناس هكذا اعملوا،

١٠٧. دعائم الإسلام ١: ٥٦.

١٠٨. الكافي ٢: ٧٨ ح ١٤.

وذاك لا تفعلوه؛ لو أنه فعل ما ينبغي فعله وترك ما لا ينبغي فعله، والناس عندما تراه تقول: نعم والله هذا مثابر على هذا العمل، هذا أجود.

الثالثة: القدوة من أهم موارد ومداخل استنزال الرحمة الإلهية لتحقيق النصر والنجاح، فالله سبحانه وتعالى عندما يرى الإنسان يتحكم بإيقاعاته، وينظم سلوكه وحركاته وسكناته، ويريد دائماً أن يكون هو الأفضل، ويريد أن يسير بالاتجاه الصحيح، فإنه سبحانه سيرحم مثل هذا الإنسان ويعينه في تحقيق النصر.

وكذا الأمر بالنسبة للجماعة، فالجماعة التي تكون جماعة نخبوية وصفوة صالحة طيبة تريد دائماً أن تكون في موضع القدوة للناس، وعندما يشاهدهم الآخرون يقولون: "هؤلاء الجعفرية، رحم الله جعفرًا ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه" (١٠٩) كما ورد على لسان الإمام الصادق (ع)، وهكذا كان الإمام الصادق (ع) يوجه أصحابه قائلاً: "كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً" (١١٠).

وبهذه الأسباب الثلاثة - البناء الداخلي، التأثير في الآخرين، استنزال الرحمة الإلهية - يجب أن نجسد في أنفسنا حالة القدوة، وأن نكون، أفراداً وجماعة، في موضع الاقتداء، ونحاول أن نطرح أنفسنا بديلاً عن مفهوم السياسي، وأكون بديلاً عندما أكون أنا صاحب المشروع وليس ذاك الآخر، أنا الإسلامي، وأنا الأصيل، وأنا صاحب المشروع والرؤية بالسلوك والأقوال والأفعال، وعندما يرانا الآخرون هكذا فسيفقدون بنا ويقتفون خطانا، وليس بالضرورة أن أبقى أقول وأدعي .

سمات القدوة

يذكر شهيد المحراب عليه السلام ثلاث سمات للقدوة في إجابته على السؤال الثاني:

أولاً: صبر على المكاره، وتحمل البلاء، وتحمل المنغصات. هناك متصد يحقق نجاحات فتصفق له الناس، وهناك أناس على فطرتها تحب المتميز فتصفق له، ولكن هناك بعض الناس من المغرضين والمندسين وأصحاب أجندة ومشاريع أخرى، فهناك صراع مستمر بين الخير والشر وبين الصلاح والفساد، وقد تحدث الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم عن هذه الظاهرة في عصر رسول الله ﷺ فقال: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) (١١١)، أي يتهمون رسول الله ﷺ بعدم العدالة ويقولون انظروا عنده محاباة، يعطي لجماعته فقط، يعطي للمهاجرين دون الأنصار، يعطي لحزبه ولا يعطي للآخرين. وهذه القصص لا تنتهي، وهكذا الأمر في المجالات المختلفة الأخرى. فيحتاج دائماً إلى الصبر، ومن يريد أن يتصدى ولا يتكلم عنه أحد أو يؤذيه أو يسمعه كلاماً غير جيد فالانسحاب له أسهل والزحف له أيسر، وليعلم أمثال هؤلاء بأنه لا يعيش مع الملائكة ولا في الجنة، بل يعيشون في الدنيا التي هي دار ابتلاء وامتحان.

فالقاعدة العامة للتصدي هي أن نتحمل، وأن نواجه، وأن نعدل، وأن نصح، وأن نكون أكثر أهلية للقدوة، وأكثر تحملاً وصبراً على البلاء. واعلموا أنه كلما كان تصديكم أكبر، كان بلاؤكم أعظم.

وقد كان رسول الله ﷺ يقول: "ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت" (١١٢). وانظروا

إلى دقة التعبير، فهو لا يقول: ما اودى إنسان، بل يقول ما اودى نبي، ومن المؤكد أن الناس لا يتأذون كما يتأذى الأنبياء، فالأنبياء أكثر الناس تحملاً للبلاء، وفي دائرة المبتلين من الأنبياء كان رسول الله ﷺ أعظمهم شأنًا وأكثرهم تصدياً وأشدهم ابتلاء.

إذن ينبغي ان يكون المتصدي أكثر الناس تحملاً، وهذه هي القاعدة. وأما من يريد ألا يؤذيه أحد فهو من لا يريد أن يكون قدوة يقتدى به، وبالتالي فهو غير قادر على أن يكون متصدياً.

ثانياً: العزم والإرادة والإصرار. وهذه صفات أساسية ينبغي توافرها في القدوة، إذ لا يمكن أن يقتدى بشخص ينفذ وقوده بسرعة، وينتهي صبره وهو ما زال في أول الشوط، بل لا بد من أن يكون لديه نفس طويل، ويكون عنده استمرارية ومواصلة، فإن "من جدّ وجد، ومن لجّ ولج" كما يقال.

وهذا الشرط هو شرط أساسي في من يريد أن يكون قدوة، وإلا فلماذا اقتدى بك الآخرون؟ فهل يعقل أن يقتدي الراكض بالماشي، أو الماشي بالجالس؟ فهم يتعبون وأنت مرتاح. والناس متفاوتون في قدراتهم، وكل شخص يتميز بالمهارة التي يمتلكها، فبعضهم يكون متفوقاً بمسابقة المائة متر، وبعضهم يكون متفوقاً في مسابقة المائتي متر، وبعضهم يكون متفوقاً بمسابقة الطفر... وهكذا يتفاوت الناس بحسب تفاوت قابلياتهم. ولكن هل رأيتم شخصاً تصفق له الناس وينظرون له باعجاب وهو جالس في الميدان لا يشارك المتسابقين في سباقاتهم؟! وحينما ينطلق الجميع للتسابق في المباريات لا يعرف من السابق إلا بعد أن ينتهي شوطه الأخير، أو بعد أن ينسحب الآخرون من ميدان السباق وتمضي

وحدك حتى الشووط الأخير، وحينها يبدو وتميزك. فسرّ نجاحنا يكمن في استمرارنا ومواصلتنا للمسيرة بخطى ثابتة ومدروسة، ولا بد من الوصول إلى الهدف مهما كان الطريق طويلاً والمسيرة شاقة وباهظة الثمن، فنحن أصحاب قضية وأصحاب مشروع، ولسنا أصحاب منافع آنية أو مصالح شخصية ننسحب ونترك الميدان عندما نحصل عليها ثم ينتهي كل شيء بالنسبة لنا.

عندما بدأ المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق خطواته الأولى ضحك منه الجميع، واستهزؤوا بقدرته على الوصول إلى أهدافه، ولكن تحول بعد سنوات إلى جهة رائدة حقيقية، واستطاع أن يقود المعارضة العراقية، وثبت له الوسادة في ما بعد. لقد كان شهيد المحراب رضي الله عنه واضحاً في مساراته وأهدافه، وماضياً على كل حال، وكانت المواظبة والاستمرارية من أهم ما تميّز به. نحن أصحاب تكليف، ومادام هناك واجب وهناك مجتمع فيجب أن نؤدي واجبنا تجاه المجتمع، ويجب أن نخدم الناس ونبني المجتمع. فإن جاءتنا فرصة للبناء استثمرناها، وإن ذهبنا منا فالله تبارك وتعالى أعرف بعباده وبلاده. فالواجب علينا هو أداء التكليف، وأما النتائج فهي بيد الله سبحانه وتعالى. وهذا المنهج في التفكير يجعل الإنسان مرتاحاً في جميع الأحوال. ولكن لا بد له من الصبر والعزيمة والإصرار والعمل .

ثالثاً: حسن المعاشرة مع الناس. إذا أردت أن تكون متصدياً فيجب أن يقبلك الناس ويحبوك ويريدوك، وأن يروك معهم في الميدان في همومهم وأحزانهم وأفراحهم وقضاياهم وفي كل شيء، وحينئذ يعجبون بك، ويرتبون معك، ويلتفون حولك.. إلى غير ذلك.

هذه إذن هي المبررات لأن نكون قدوة، ويجب أن يكون طموحنا في أن نكون قدوة، ولا يجوز أن يتصدى شخص لأمر رسالي ولا يعمل على أن يكون قدوة كشخص، وقدوة كجماعة. هذه المبررات، وتلك هي السمات، شكراً لكم، والسلام عليكم.

التواصل ضمن منظومة العمل

أيها المسؤول لا تتخلّ عن مسؤوليتك تجاه من هو دونك في سلسلة المراتب، أيها المتصدي إلى مسؤولية ما، لا تشكل امبراطورية خاصه بك، وتنسى أن هناك مسؤولاً أعلى، ومركزاً، وقيادة، وأن هناك اطاراً يجب أن ينتظم هذا العمل ضمنه ويكمل بعضه بعضاً، فالتواصل في الهرم الاداري يكون من الأدنى إلى الأعلى، وهناك ممارسات اجتماعية، وسلوك اجتماعي يجب أن نتميز به عن غيرنا.

وهكذا كان شهيد المحراب عليه السلام يعتبر هذا الشرط شرطاً أساسياً من شروط التصدي. نتمنى ان نوفق جميعاً لمراعاته في ظروف العمل، والحمد لله رب العالمين.

التشاور بالعمل

التشاور في العمل، والاستماع إلى آراء الآخرين، وتمحيصها بدقة، ولا سيما مشاورة أهل الدين، والعقل، والتجربة، والاستفادة من تجارب

الآخرين، والعزم بعد المشاورة، كما ورد ذلك في القرآن الكريم في وصية الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١١٣) وقد وصف سبحانه المؤمنين الصالحين بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (١١٤).

الرقابة والمتابعة

كان من سمات آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمة الله عليه الدخول في التفاصيل، فإذا أراد أن يصعد من مكتبه إلى بيته في الطابق العلوي وشاهد مصباحاً مضاًءً أطفأه وهكذا. وفي إحدى المرات قال لي صهره: قلت للشيخ مرة أنت تشبه كثيراً السيد محمد باقر الحكيم، فهو أيضاً يدخل في التفاصيل. فقال: عجيب! أخبرتني عن منقبة أخرى في هذا الرجل ما كنت أعرف بها. إذن كانت منقبة لشهيد المحراب عليه السلام أنه يدخل في التفاصيل ويدقق في الأمور. وينبغي أن تتوافر فينا هذه الحالة وهي ألا يرى الإنسان نفسه قد أدى الواجب لصرف أنه أصدر تعليمات لمن هو دونه، بل يجب عليه أن يتابع ويشرف ويتأكد.

ويذكر شهيد المحراب عليه السلام ثلاثة أمور في هذا الشرط:

- الأمر الأول: التشديد والتأكيد على أن الرقيب الأول والرقيب الأعلى هو الله سبحانه وتعالى. هذا في المنظومة الأخلاقية، ولكن الإنسان المؤمن حتى في المنظومة الإدارية يرى الله تعالى هو الرقيب. إن جل اهتمامنا في ضبط العمل الإداري ينصب على وضع كاميرات ودفتر تسجيل الحضور والغياب واستعمال الجهاز الفلاني الذي يعمل بالبصمات، وهي

جميعاً يمكن الالتفاف عليها بطريقة أو بأخرى، ولكن ما غفلنا عنه هو تربية العاملين على أن الله سبحانه وتعالى رقيب علينا والملائكة بعد ذلك ظهير، يستنسخون أفعالنا وأقوالنا، والرقابة الإلهية هي الوحيدة التي يستحيل الالتفاف عليها.

وعندما نجعل الأساس في التربية الأخلاقية، هو أن الله تعالى هو الرقيب، فإن كثيراً من المشاكل ستنتهي وتحل.

الأمر الثاني: التشديد على الرقابة كأساس لا يجوز التهاون فيه. ويذكر شهيد المحراب عليه السلام للرقابة سببين:

السبب الأول هو تدارك الأخطاء والاشتباكات. فالإنسان قد يقع في خطأ في العمل، ومن خلال الرقابة تتبين أخطأه.

السبب الثاني هو تنبيه الغافلين، فقد يغفل الإنسان أحياناً، ولكن لا يضع في الرقابة احتمال التعمد، والمحاسبة إنما هي لمن يتعمد الخطأ، مفترضين أننا في المنظومة الرسالية نتعامل مع أناس متدينين لا يوجد فيهم من يتعمد مخالفة القانون والضوابط، ولكنه قد يخطئ في تشخيص المصداق، ولو غفل عن التطبيق لا يذكر التعمد.

الأمر الثالث: يحذر شهيد المحراب عليه السلام من الانزعاج من عملية التفتيش والرقابة، فلا تنزعج ولا تشكك في نياتك أو نيات المفتش، ولا تعتبر هذا التفتيش تشكيكاً فيك، فقد تكون غافلاً أو مشتتاً في قضية، أو واقفاً في خطأ، فلا يتصور أن تكون ممن يتعمد الخطأ ما دمت في منظومة رسالية وفي حالة إيمانية.

ويقول: إن الانزعاج من أصل وجود نظام التفتيش والرقابة في غير محله،

إذ أن الانزعاج من تطبيقات التفتيش والرقابة في غير محله، ويجب القبول بهذا المبدأ كمبدأ إسلامي صحيح يساعد على تصحيح المسارات، ويساعد على تنظيم الأمور بطريقة مؤسسية. اكتفي بهذا المقدار والحمد لله رب العالمين.

كتمان السر

الالتزام بكتمان السر، وحفظ الأمانة، ولا سيما في الأحاديث التي تجري في الاجتماعات، أو المناقشات، أو جلسات التقييم والعمل، فإن حفظ السر من الواجبات، وتسريب المعلومات من الخيانة والمحرمات، وقد ورد في الحديث الشريف (إن المجالس بالأمانات) ولا يجوز الحديث عن المعلومات التي يطلع عليها العامل في عمله إلى الأشخاص الذين لا شأن لهم بالعمل، حتى لو كانوا موثقين فضلاً عن غيرهم.

كما لا يصح الشكوى من المصائب، التي يواجهها العامل في عمله، إلا لذوي الاختصاص والشأن، فإن ذلك من كشف الأسرار وخيانة الوظائف. ولا يجوز انتقاد العاملين في أعمالهم لغير ذوي الاختصاص والشأن، فإن ذلك من الغيبة، والهتك ويؤدي - أيضاً - إلى إضعاف العمل وإيذائه. كما لا يجوز انتقاد العاملين في أعمالهم لغرض الإساءة إلى شخصيتهم، فإن ذلك من أعظم الآثام ومن الكبائر، نعوذ بالله من ذلك.

المحتويات

المقدمة..... ٥

الفصل الأول

- ٨ مفاهيم رسالية
- ٩ أهل الحق والكثرة العددية
- ١٢ خدمة الخلق والقرب من الله
- ١٥ حركة الإنسان ومخافة الله
- ٢١ العمل بين الإخلاص والرياء
- ٢٦ الموقف الصحيح واحتمال الخطأ
- ٣٠ علامات الأشقياء
- ٣٣ مفازع الناس
- ٣٧ الإحسان والحب
- ٤٠ حقيقة الإيمان
- ٤٨ تخشع النفاق
- ٥٢ خصال الإيمان
- ٥٥ مبدأ الكتمان

الفصل الثاني

- ٥٧ دروس رسالية
- ٥٨ الكريم والمسؤولية

٦٠ الجد والمثابرة.....
٦٢ حدود المخالطة.....
٦٤ اكتساب الاخوان.....
٦٦ استيعاب الناس.....
٦٨ استثمار الوقت.....
٧٠ مرونة المؤمن.....
٧٢ منهج التعامل مع الناس.....
٧٤ الكتمان والبشاشة والاحتمال.....
٧٥ مفاتيح التواصل.....
٧٧ الإنسان بين التوفيق والإخلاص.....
٧٩ خطورة التلون.....

الفصل الثالث

٨١ توصيات رسالية.....
٨٢ سمات الحازم.....
٨٣ الهمة والحمية.....
٨٤ التعامل بين المال والأخلاق.....
٨٥ شرف الهمة.....
٨٦ قبول النقد.....
٨٧ الإخلاص.....
٨٨ صيانة الأسرار.....

- ٩٠ التركيز على العمل
- ٩١ اغتنام الفرص
- ٩٢ المؤمن بين الصلابة والذلّ
- ٩٣ تقارن العلم والعمل
- ٩٤ استشارة الشبان والشيخوخة

الفصل الرابع

- ٩٥ وصايا شهيد المحراب عَدَسْتِي للعاملين
- ٩٦ العمل للخدمة لا للسلطة
- ١٠٠ التخطيط للوقت
- ١٠٨ سعة الصدر
- ١١٠ التعامل باللين
- ١١١ الاحتراف في العمل
- ١١١ سمات الاحتراف
- ١١٤ القدوة
- ١١٧ سمات القدوة
- ١٢٠ التواصل ضمن منظومة العمل
- ١٢٠ التشاور بالعمل
- ١٢١ الرقابة والمتابعة
- ١٢٣ كتمان السر